التوحيد

مجلة إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٩١ - السنة الحادية والأربعون ذو القعدة ١٤٣٢ هـ
الثمن جنيهان

مسابقة
فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين
رحمه الله

الحج أيام معلومات

ملف العدد

إعلام الناسك بأعمال المناسك

- الحقد الدولي .. والكيد للإسلام والمسلمين !!
- شروط الحاكم وواجباته
- حج المرأة

Upload by: altawhedmag.com

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله
صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون
العدد ٤٩١
ذو القعدة ١٤٣٣هـ



رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
زكريا حسيني محمد
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات
ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف :٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

سهام الإعلام ضد الإسلام

شكوناهم إلى الله عز وجل، يجزيهم بما يستحقون، الذين كانوا ولا يزالون سهامهم إلى المتدينين من المسلمين على أنهم أثرياء، ولأحدهم ثلاث عمارات، والآخر يتلقى تمويلاً من الخليج أو برشلونة!

وكل من رام منصبًا أو شُهرة، أو مالاً، فالطريق سهل ومَيسور، يتواصى مع أمثاله في النَّيْل من الإسلام وأهله، والطعن في سلوكهم، والتشكيك في نياتهم، وفي مصدر رزقهم، وتحريم أموالهم.

لكنهم سكتوا وأُخْرِسوا عن المليارات المنهوبة، والسرقات المقننة، وغسيل الأموال، والفساد العريض في البر والبحر، وكل اهتمامهم شيخ يسكن عمارة، وآخر يركب سيارة، ولسان حالهم ومقالهم يقول:

سرقة شعب بأكمله ذنب يُغْتَفَر
والشيخ إذا ركب سيارة فقد كَفَر!!

التحرير

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٠ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٠ سنة كاملة

Upload by: altawhedmag.com

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد



الآن بالمركز العام

المجلد الجديد لعام ١٤٣٢

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي:

q.tawheed@yahoo.com

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

Upload by: altawhedmag.com

افتتاحية العدد

شروط الحاكم وواجباته

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله مالك الملك، يعز من يشاء ويذل من يشاء، له الحمد في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على البشير النذير الداعي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه الأطهار الطيبين، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد ذكرت في اللقاء الماضي الحقوق الواجبة على الرعية تجاه الحاكم، وفي هذا اللقاء أذكر الشروط الواجب توفرها في الحاكم، وما يجب عليه تجاه رعيته، فأقول وبالله التوفيق:

إن منصب الإمامة والحكم كبير، ولذلك اشترط الفقهاء شروطًا يجب توفرها في الخليفة، وهي باختصار كما يلي:

شروط الحاكم

أولاً: التكليف، وشروط التكليف: الإسلام، والبلوغ، والعقل، فالكافر والصغير والمجنون لا يصلحون لهذا المنصب الذي تناط به مهمات عظيمة، ولا يتصور أن يكون غير المكلف خليفة للمسلمين.

الشرط الثاني: العدالة، والمراد بها: أن يكون سليمًا في معتقده، معظمًا لشعائر الإسلام وعلى رأسها التوحيد، صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفًا عن المحارم، متوقيًا المآثم، بعيدًا عن الريب، مألوفًا في الرضا والغضب، مستعملاً مروءته.

الشرط الثالث: الذكورة، فالمرأة لا تصلح في الولاية الكبرى، وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة». [البخاري: ٤٤٢٥].

ولم أعرف في التاريخ أن امرأة تولت أمر المسلمين؛ لأن الحاكم يحتاج إلى أن يخلو بمستشاريه ويقود الجيوش، والمرأة لا تستطيع ذلك، خاصة أنه يعتريها أيضا أمور لا تخفى تمنعها أو تؤثر في القيام بواجبات الخلافة.

الشرط الرابع: العلم بأمور الدين والدنيا ليتمكن من سياسة أمور الأمة، والعلم يكشف لصاحبه الظلمات.

الشرط الخامس: الحرية وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في العلم والعمل، وأما عن واجبات الإمارة وما يجب أن يقوم به الحاكم، فهي أمور كثيرة منها ما يتعلق بالعبادة وإقامة شعائر الدين، ومنها ما يتعلق بأمن البلاد والعباد، وقد اهتم الفقهاء بذكر واجبات الحاكم؛ لإدراكهم أهمية منصبه، ولأن في صلاحه صلاحًا للبلاد والعباد، وقد ذكر الماوردي وابن جماعة وغيرهما - رحمهما الله - الحقوق الواجبة على الحاكم وهي عشرة أذكرها وأبينها هنا وهي كالآتي:

الحق الأول: حماية بيضة الإسلام والذبّ عنها، وهذا يكون في جميع أماكن الدولة، ومن حماية بيضة الإسلام: القيام بحراسة العقيدة وصيانتها من أرباب البدع والخرافة الذين يفسدون العقائد الصحيحة، وعلى الحاكم الإنفاق بسخاء في هذا الجانب، وتوظيف أجهزة الدولة في جميع المؤسسات التعليمية ووزارة الأوقاف، ووسائل الإعلام لنشر العقيدة الصحيحة والعناية بها في كل البرامج، ولا يستقيم الحكم في بلد وتستقر أوضاعه إلا برعاية العقيدة وتنفيذ الشريعة، قال الله تعالى:

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [النور: ٥٥].

وقد تحقق هذا الوعد الكريم للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته؛ وذلك لصدق توحيدهم، فقد أنجز الله لهم وعده، وأظهرهم

Upload by: altawhedmag.com

على جزيرة العرب، ومزقوا ملك الأكاسرة والقياصرة، وملكوا خزائنهم، وصاروا إلى حال يخافهم كل من عداهم، قال الشنقيطي رحمه الله في تفسيره للآية: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذه الأمة ليستخلفنهم في الأرض: أي ليجعلنهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، والآيات تدل على أن طاعة الله بالإيمان والعمل الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة كقوله تعالى: «وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» [الحج: ٤٠]. (أضواء البيان: ٢٤٦/٦).

ومن حماية بيضة الإسلام والذب عنه جهاد المشركين، ودفع المحاربين والباغين، وتدبير الجيوش، وتجنيد الجنود، وتحصين الثغور بالعدة المانعة والعدة الدافعة، والنظر في ترتيب الأجناد في الجهات على حسب الحاجات، وتقدير أرزاقهم وصلاح أحوالهم.

الحق الثاني: حفظ الدين على أصوله المقررة وقواعده المحررة، ورد البدع والمبتدعين؛ لتبقى راية السنة ظاهرة، ويسلم الناس في دينهم لاتباعهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أن الابتداع في الدين يهدم سنة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، ويناقض قول الله تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» [المائدة: ٣]، وما أكمله الله لا يحتاج إلى زيادة أبدًا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في بداية خطبه يعظم هديه وسنته، وينهى عن المحدثات والبدع كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبه: «أما بعدُ: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». [مسلم: ٨٦٧].

وعليه فيجب على الحاكم المسلم التصدي بحزم وقوة للبدع وأصحابها، ويدخل في حفظ الدين: نشر العلوم الشرعية وإشاعتها بين الناس، وتعظيم العلم وأهله، والعناية بهم، ومساعدتهم في أعمالهم، ومخالطتهم ومشاورتهم في موارد الأحكام، والعلماء الأعلام الربانيون نصحاء لدين الإسلام وأمناء على الأمة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استعمل رجلاً أشهد عليه رهطا من الأنصار وقال له: «لم أستعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم، ولكني استعملتك عليهم لتقسم بينهم بالعدل، وتقيم فيهم الصلاة، واشترط عليه ألا يأكل نقيًا، ولا يلبس رقيقًا، ولا يركب برذونًا، ولا يغلق بابه دون حوائج الناس». [مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٩٢٠)، وانظر مستدرك الحاكم ٤٣٩/٤، ومصنف عبد الرزاق].

الحق الثالث: إقامة شعائر الإسلام كفروض الصلوات، والجُمَع والجماعات، والأذان والإقامة، والخطابة والإمامة، ويلزم من ذلك العناية ببيوت الله وتهيئتها بما يليق بها، ويدفع العابد إلى ارتيادها، ويعتني بالقائمين عليها.

ومن إقامة شعائر الإسلام أيضًا: النظر في أمر الصيام والفطر، وأهلته، وحج بيت الله الحرام وعمرته، وتيسير طرق الحجيج، وتنظيم ذلك للتيسير على قاصدي البيت الحرام، وعليه أن يحمل الناس على طاعة الله والتزام شرعه في جميع مناحي الحياة، فلا يسمح مثلا بالفطر جهارًا في رمضان، أو ترك المفسدين في الأرض ليشغلوا العباد عن عبادة ربهم بألوان الفساد والمنكرات.

الحق الرابع: فصل القضايا والأحكام، ويكون ذلك بتقليد الولاة والحكام لقطع المنازعات بين الخصوم، وكف المظالم عن المظلوم، ولا

على الحاكم حماية بيضة الإسلام والدفاع عنه، وجهاد المشركين وتدبير الجيوش وتحصين الثغور، وحفظ الدين وردّ البدع والمبتدعين لتبقى راية السُّنَّة ظاهرة.

Upload by: altawhedmag.com

من واجبات الإمام: إقامة الحدود الشرعية، وصيانة المحارم، وإفساح الطريق للدعوة الإسلامية، وإنقاذ المستضعفين في الأرض.

يولي ذلك إلا لمن يثق في دينه وأمانته من العلماء والصلحاء، وذوي الكفاءة والنصحاء، ولا يدع السؤال عن أخبارهم والبحث عن أحوالهم، ليعلم حال الرواة مع الرعية، فإنه مسئول عنهم، وقد ذكر الماوردي أن المأمون رحمه الله كتب في اختيار وزير له ما يلي: «إني التمست لأموري رجلاً جامعًا لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قُلد مهمات الأمور نهض فيها، يُسكته الحلم، ويُنطقه العلم، وتكفيه اللحظة، له صولة الأمراء وأناة الحكماء، وتواضع العلماء وفهم الفقهاء، إن أُحسن إليه شكر، وإن ابتُلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحُسن بيانه». [الأحكام السلطانية /٦٢].

وإذا توفرت هذه الأوصاف في مسئول فرأيه وتدبيره في حسن وتمام.

الحق الخامس: إقامة فرض الجهاد بنفسه، وبجيوشه أو سراياه، وذلك ليكون الدين لله وحده الله، قال الله تعالى: «وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ» [البقرة: ١٩٣].

ومن أهداف الجهاد في الإسلام: حماية الأمة الإسلامية، وإفساح الطريق للدعوة الإسلامية، وإنقاذ المستضعفين في الأرض، قال الله تعالى: «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا» [النساء: ٧٥- ٧٦]، ويلزم من ذلك إعداد القوة الحربية المناسبة لكل عصر من إقامة المصانع وتدريب المقاتلين، قال الله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ» [الأنفال: ٦٠].

الحق السادس: إقامة الحدود الشرعية على الشروط المرعية؛ صيانة لمحارم الله عن التجرؤ عليها، ولحقوق العباد عن التخطي إليها، وقد ذهب العلماء إلى أن الحدود زواجر وجوابر، فإقامتها ضروري لصلاح البلاد والعباد، والدولة هي التي تقوم بها، وعلى كل مسئول في مكانه أن يتقي الله عز وجل في محارمه، ومن يقوم على الحدود عليه أن يسوّي بين القوي والضعيف، والوضيع والشريف، وقد ذكر البخاري في صحيحه بابًا عنون له بقوله: «باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع»، ثم ساق حديث عروة عن عائشة أن أسامة كلّم النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة فقال: «إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها». [البخاري: ٦٨٨٧].

وقد أفاد الحديث ترك المحاباة في إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولدًا أو قريبًا أو كبير القدر، فالناس أمام حدود الله سواء، وإقامة الشرع فيهم وتنفيذ الحدود فيه سعادتهم وعزتهم وصيانتهم وأمنهم، قال الله تعالى: « وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٧٩].

الحق السابع: جباية الزكوات والجزية من أهلها، وأموال الفيء والخراج عند محلها، وصرف ذلك في مصارفه الشرعية، وجهاته المرضية، وضبط جهات ذلك، وتفويضه إلى الثقات من العمال، وفي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما أرسله إلى اليمن: «إياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». [البخاري: ١٤٢٥].

Upload by: altawhedmag.com

قال النووي في شرح هذا الحديث: «وفيه بيان عظم تحريم الظلم، وأن الإمام ينبغي أن يعظ ولاته ويأمرهم بتقوى الله تعالى، ويبالغ في نهيهم عن الظلم ويعرّفهم قبح عاقبته». [١٧٩/١].

والزكاة من أركان الإسلام، وقد أمر الله بها في مواطن في كتابه وقرنت بالصلاة كثيرًا، كما ذكر القرآن الكريم مصارف الزكاة في سورة التوبة، ولو أخرج المسلمون زكاة أموالهم وهي حق عليهم للفقراء، ما بقي - بفضل الله - محتاج بين المسلمين.

الحق الثامن: النظر في أوقاف البر والقربات، وصرفها فيما هي له من الجهات، وعمارة القناطر وتسهيل سبل الخيرات، والأوقاف من أهم الموارد الاقتصادية للدولة الإسلامية، وهي نظام إسلامي عُمل به منذ الصدر الأول، وقد ذكر ابن حجر عن الواقدي أن أول صدقة موقوفة في الإسلام أراضي مخيريق التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم فوقفها النبي صلى الله عليه وسلم، قال الترمذي: لا نعلم بين الصحابة والمتقدمين من أهل العلم خلافًا في جواز وقف الأرضين. [فتح الباري ٤٠٢/٥].

كما ذكر القرطبي إجماع الصحابة على ذلك، وأفاد بأن أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا وعائشة وفاطمة وعمرو بن العاص والزبير وجابرًا كلهم وقفوا الأوقاف، وأوقافهم بمكة والمدينة معروفة مشهورة. [تفسير القرطبي ٣٣٩/٦].

وعلى الجهات المعنية اليوم كوزارة الأوقاف العناية بها والرفع بذلك إلى رئيس الدولة، والعمل على توظيفها توظيفًا صحيحًا وتنميتها بما يعود على الأمة بالنفع والخير.

الحق التاسع: النظر في قسم الغنائم وتقسيمها، وصرف أخماسها إلى مستحقيها عملاً بقوله تعالى: «وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ» [الأنفال: ٤١].

الحق العاشر: العدل في سلطانه، وسلوك موارده في جميع شأنه، قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ» [النحل: ٩٠]. وهذا أمر عام بالعدل في كل شيء، وقد تكرر كثيرًا في القرآن كما جاء الأمر بالحكم بين الناس بالعدل، وكان موجهًا إلى داود عليه السلام، قال الله تعالى: « يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ» [ص: ٢٦]، وقال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ» [النساء: ٥٨]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أمير عشرة، إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور». [صحيح الجامع: ٥٦٩٥].

وقد قال الحكماء: عدل الملك حياة الرعية، وروح المملكة، فما بقاء جسد لا روح فيه، وعليه فيجب على مَن حكّمه الله تعالى في عباده، وملّكه شيئًا من بلاده أن يجعل العدل أصل اعتماده، وقاعدة استناده، لما فيه من مصالح العباد، وعمارة البلاد، ولأن نعم الله يجب شكرها، وأن يكون الشكر على قدرها، ونعمة الله على السلطان فوق كل نعمة، فيجب أن يكون شكره أعظم من كل شكر، وأفضل ما يشكر به السلطان لله تعالى: إقامة العدل فيما حكّمه فيه.

أسأل الله تعالى أن يوفق الحاكم والمحكوم لما فيه رضاه، وأن ينعم على البلاد والعباد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

عدل المَلك حياة الرعيةِ؛ وروح المملكة؛ فلا قيمة لجسد بلا روح. فيجب على من حَكّمه الله في عباده، ومَلّكه شيئًا من بلاده، أن يجعل العدل أصل اعتماده، وقاعدة استناده.

Upload by: altawhedmag.com

كلمة التحرير

الحقد الدولي الدفين.. والكيد للإسلام والمسلمين !!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله الحليم، ألف بين قلوب المؤمنين فجعلهم بنيانًا واحدًا يشدُّ بعضه بعضًا، « وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » [الأنفال: ٦٣].

فإن ما يحدث ويقع على أرض مصر يتأثر به الكثير من دول العالم العربي، وما يحدث من تجاذبات حول الأحداث المتلاحقة، سواء ممن يعترضون على قرض صندوق النقد الدولي، والمزمع أن يكون ٤,٨ مليار دولار، على أنه قرض ربويّ، وأن الشرع لا يفرّق بين الربا البسيط والكبير في الحكم، وأنه يخالف أحكام شريعتنا الغراء، وأن قرض الصندوق حرام، وأن الفائدة على القرض قلّت أو كثرت فهي ربا، وفريق آخر يرد بأن الضرورات تبيح المحظورات، وجدلٌ فقهي يدور بين العلماء حول هذا الموضوع بين مؤيد ومعارض، وبين اعتصامات واحتجاجات تزداد كل يوم بصورة تدمي القلب، ومناوشات حول الدستور الجديد للبلاد، والشرعية القانونية لعودة مجلس الشعب المنحل من عدمه، ومحاكمات، وإقالات وتعيينات، وقرارات تصدر في ظل الأحداث المتلاحقة، وزيارات خارجية لفخامة رئيس الجمهورية بين شد وجذب، بين مؤيد ومعارض، وبلطجة وقطع طرق، وقتل ونهب، وأجهزة أمنية ما زالت متقاعسة وتبدو عاجزة بل كامنة، واستثمارات قطرية مفاجئة تنوي إنفاقها في مصر ضمن حزمة من المشروعات...

كل ذلك لا ينسينا قضايا إخواننا من الأقليات الإسلامية المضطهدة في دول العالم شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، ولا يشغلنا عن أحوال المستضعفين في سوريا التي يُقتل فيها المسلمون ويُذبحون، ويعيشون أسوأ حالات الاضطهاد والذل والمهانة، وسط مجتمع دولي متآمر ضدهم، يغمض الطرف عن أحوالهم وعن مآسيهم، بينما يتدخل ليل نهار وبشكل سافر في شئون الدول الإسلامية الأخرى للدفاع عن أقليات تعيش في تلك الدول تتمتع بكل الحقوق، مدعين أنهم يدافعون عن حقوق الإنسان، والإنسانية منهم براء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

Upload by: altawhedmag.com

أقليات إسلامية تُباد، وأكثرية تُذبح وتقتلع !!

كُنا قد تناولنا في العدد السابق من مجلة التوحيد المآسي التي يتعرض لها إخواننا من الأقلية المسلمة في ميانمار «بورما السابقة»، وما يحدث لهم من أسوأ عمليات تطهير عرقي على مر التاريخ على يد البوذيين، وما جاء مؤخرًا على لسان الرئيس البورمي من أن المخرج الوحيد المتاح لأفراد أقلية الروهينجا المسلمة غير المعترف بها يقضي بتجميعهم في معسكرات إيواء للاجئين، أو طردهم من البلاد، والمذابح التي ترتكب في حق المسلمين هناك منذ عام ١٩٤٢م.

واليوم نستعرض نموذجًا آخر من تلك النماذج الدامية والتي تقع في كثير من دول العالم ذي الأكثرية الإسلامية، بل إنها دول إسلامية أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، ومع ذلك يحكمها الأقليات التي تعيش في تلك البلاد، بدعم من الصليبية العالمية، ويتذوق المسلمون في تلك الدول أبشع أنواع التعذيب والقتل والتنكيل والتهميش؛ في محاولة للقضاء على الإسلام والمسلمين في بلاد إسلامية غالبية شعوبها من المسلمين، وقد آلينا على أنفسنا أن نستعرض تلك المآسي على صفحات مجلة التوحيد؛ ليتعرف القارئ الكريم على معاناة إخواننا من المسلمين سواء من الأقليات الإسلامية، أو من الدول الإسلامية ذات الأكثرية المسلمة في تلك الدول.

وسوف ننوه عن ثلاث دول ذي أكثرية إسلامية، وسوف نأخذ نيجيريا كنموذج، ثم نعرّج على الدول الأخرى في الأعداد القادمة بإذن الله.

ففي النيجر وهي واحدة من الدول التي تقع في وسط إفريقيا، ويقدر تعداد المسلمين فيها بـ ٨٠٪ من عدد السكان، والتي يتعرض المسلمون فيها لحملات تنصير وإبادة من النصارى الذين يشكلون ٢٠٪ من عدد السكان، ويسيطرون على مُقدّرات البلاد، ويتعرض المسلمون فيها لشتى أنواع الاضطهاد وهم أغلبية!!

فحملات التنصير المدعومة من الدول الصليبية تزداد قوة يومًا بعد يوم، في ظل تخاذل المسلمين عن نصرة إخوانهم في تلك الدول!!

وإلى جانب التنصير يتعرض المسلمون للمجازر المستمرة من طرف الميليشيات الصليبية المزودة بكل أنواع السلاح والدعم من حكوماتهم الصليبية الممكنة من الغرب وأعداء الإسلام في تلك الدول!!

وفي ساحل العاج هذا البلد المسلم الذي يقع في غرب إفريقيا، ويبلغ عدد المسلمين فيه حوالي ٦٥٪ من عدد السكان، ويدين معظمهم بالمذهب المالكي كشأن معظم دول غرب إفريقيا، ويحكم البلاد فيه أقلية نصرانية تبلغ تعدادها ٢٠٪ من عدد السكان، والنسبة الباقية تبلغ ١٥٪ من المعتقدات الإفريقية المحلية، وتعاني الأكثرية المسلمة أشد أنواع المعاناة والظلم البيِّن مع أكثريتهم!!

والنموذج الثالث نتناوله بقدر من التفصيل وهو نيجيريا.

الأكثرية المستضعفة في نيجيريا !!

تقع نيجيريا في غرب إفريقيا، وتُعدُّ أكبر دولة في إفريقيا من حيث عدد السكان؛ حيث تبلغ مائة مليون وأربعة وخمسون نسمة، ويعد من أهم مواردها النفط الخام، فهي دولة بترولية، وبها الكثير من المواد الخام الأخرى التي تجعلها في مصاف الدول القوية اقتصاديًا، ومع ذلك يعاني المسلمون فيها أشد أنواع الفقر والمعاناة، وعملتها النيجيرية هي النايرا، ولنيجيريا حدود مع كل من بنين في الغرب، وتشاد والكاميرون في الشرق، والنيجر في الشمال، وخليج غينيا في الجنوب، وعاصمتها أبوجا منذ عام ١٩٩١م، وكانت لاجوس السابقة، والاسم الرسمي للبلاد هو جمهورية نيجيريا الاتحادية.

تبلغ مساحة نيجريا ٧٦٨,٢٩٣كم٢، وتعد مثل باقي الدول الإفريقية تزخر بالعديد من مقومات الجمال في الطبيعة، فتزخر بالنباتات والغابات والمعالم الطبيعية الساحرة، ويوجد في نيجيريا ٢٥٠ قومية؛ حيث تمثل لغة الهاوسا ولغة الغولاني ٢٩٪، ولغة اليوربا ٢١٪ ولغة الاكبو ١٨٪، ولغة الإيجاو ١٠٪، ولغة الكاذوري ٤٪ ولغة الابيبيو ٣,٥٪، ولغة التيف ٢,٥٪، وتعد نيجيريا من أهم الدول الإفريقية المنتجة للنفط، وهي عضو في منظمة الدول المصدرة للنفط «أوبك»، وتحتل المرتبة الثامنة للدول المصدرة للنفط عالميًا، وكذلك الغاز الطبيعي، ويمثلان ٦٥٪ من إجمالي حجم تجارتها مع العالم الخارجي ومن إيرادات ميزانية الدولة.

Upload by: altawhedmag.com

وصول نور الإسلام غرب إفريقيا

حين بعث الله سبحانه رسوله الأمين محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق لم يمضِ على جهره بدعوته عشرون عامًا، إلا وقد دانت له العرب، وهابته الروم والعجم، وأثناء حكم الخلافة الراشدة سقطت فارس والروم تحت حكم المسلمين، ثم امتد الإسلام غربًا حتى بلغ مشارف الأندلس، وحقق الإسلام بنقاء دعوته، وعدله في حكمه في ثمانين عامًا ما عجز الرومان عن تحقيقه في ثمانمائة سنة.

وفي أواخر المائة الهجرية الأولى بلغ نور الإسلام غرب إفريقيا، وخلال أربعة قرون تغلغل في ولايات نيجيريا، وعُثِرَ في سلسلة نسب بعض علمائها الذين حفظوا أنسابهم على اتصال أنساب بعضهم بالقائد التابعي المشهور فاتح إفريقيا الذي بنى القيروان عقبة بن نافع الفهري، رحمه الله تعالى، ودانت كثير من القبائل الوثنية بالإسلام على أيدي التجار المسلمين؛ حيث كان الوثنيون يرمقون طهارتهم لصلاتهم، ونظافة أجسادهم وملابسهم، وانتظامهم في عباداتهم، مع صدقهم في حديثهم، وأمانتهم في معاملاتهم، فأثر ذلك في النفوس المفطورة على حب الخير، فدخلوا في دين الله تعالى أفواجًا.

وكان لشعائر الإسلام الظاهرة أثر كبير في دعوة الوثنيين للإسلام، فقد كانوا يرون المسلمين يصلون الجُمَع والأعياد ويصومون رمضان، ويجتمعون للتراويح، وتستعد وفود الحجيج للرحلة في كل عام، ويودعهم الناس ثم يستقبلونهم في مواكب مهيبة تأسر النفوس، وتستدر الدموع، فتؤثر هذه المشاعر والمظاهر التي تدل على مكانة الرابطة بين المسلمين، وقوة الأخوة الإيمانية في قلوبهم فيسلم الألوف من الوثنيين بسبب ذلك.

ومع الصبر واليقين والتقوى آتت هذه الدعوات المباركة ثمارها، فصلح بها حكام الأقاليم، وشيوخ القبائل، وسادة العشائر، فدانوا بالإسلام عن قناعة، وتمثلوه في سلوكياتهم، وحكّموا شريعته فيهم، وقامت دولة إسلامية تُحكم الشريعة بين الناس في أواخر القرن التاسع عشر على يد الشيخ عثمان فودي وأتباعه، وساد الأمن والبركة بتحكيم الشريعة الربانية ربوع نيجيريا، فأغاظ ذلك الإنجليز الذين كانوا يستعمرون أكثر الأرض، ويفسدون فيها، فبثوا عيونهم، ثم أرسلوا جيوشهم حتى أسقطوا الحكم الإسلامي في أوائل القرن العشرين، وزرعوا وكلاءهم وعملاءهم للسيطرة على البلاد، وأخذوا في نقض عُرى الشريعة عُرْوة عُروة، ونشروا المدارس التنصيرية في طول البلاد وعرضها، وبدأت مرحلة من الحرب الفكرية بين المنصرين وعلماء المسلمين، وتم تنصير كثير من الوثنيين بالمال والمناصب والشهوات، كما تنصر بعض الضعاف من المسلمين لأجل ذلك، وكان شمال نيجيريا أشد تمسكًا بالإسلام والحمية له من الجنوب الذي فرح أهله بالنفوذ النصراني فيه، ما عدا قبائل اليورباه المسلمة، وكان من عمل الإنجليز قبل رحيلهم زرع عملائهم لإدارة البلاد من بعدهم، وللقضاء على ما بقي من آثار الشريعة الإسلامية في التحاكم فإن الإنجليز جعلوا إلغاء الأحكام الجنائية الشرعية شرطًا من شروط استقلال نيجيريا!!

استقلال البلاد.. وإصلاح ما أفسده الإنجليز

وعقب الاستقلال نشط العلماء والدعاة في بث الوعي في المسلمين، وتحذيرهم من المخاطر المحدقة بهم، وكان للصحوة الإسلامية وانتشار المد السلفي أثره الكبير في عودة الوعي للأمة النيجيرية، وكان لدروس العلامة النيجيري أبي بكر جوي رحمه الله، ومن معه من العلماء أثر كبير في إقناع حكام الولايات الإسلامية بتطبيق الشريعة الإسلامية، وتكوين نظام فيدرالي، يعني أن كل ولاية تدير شئونها الداخلية حسب رغبة حكومتها وشعبها، وخلال عشر سنوات أعلنت اثنتا عشرة ولاية نيجيرية اعتماد الشريعة حكمًا بين الناس، مما أقض مضاجع الغربيين، واستنفروا جهودهم للحيلولة دون ذلك، والضغط على الحكومة المركزية لمنعه، وشحن النصارى والوثنيين ضد المسلمين، وإثارة الفتن الطائفية والعرقية بين الناس كعادتهم في تخريب البلدان، وإشعال الفتن والحروب، وليس ما حدث على أرض مصر

Upload by: altawhedmag.com

والكثير من الدول الإسلام الأخرى ببعيد عن أنظاركم وأسماعكم!!

وطُبقت الشريعة الإسلامية في بعض الولايات فكان للمسلمين في تطبيقها موقفان، كما كان للنصارى والوثنيين موقفان، فأكثر المسلمين فرحوا واستبشروا بذلك وأيدوه، وقليل من المسلمين رفضوا ذلك وقاوموه، منهم التغريبيون والمنافقون، ومنهم الفساق الذين يملكون مصانع الخمور، وحانات الزنا، وقاعات السينما، فخافوا على تجارتهم الخبيثة من الكساد إذا عمَّ تطبيق الشريعة سائر البلاد، فقدموا دنياهم على دينهم!!

وأما النصارى والوثنيون فأكثرهم عارضوا ذلك وقاوموه، وكثير منهم ينطلقون في ممانعتهم من توجيهات الغرب ووعودهم لهم بالتمكين في البلاد، وبعض النصارى فرحوا بتطبيق الشريعة لما رأوا من أثرها في توطيد الأمن، وحفظ أبنائهم من الخمور والفجور !!

وما هذه الأحداث التي يشعلها النصارى في نيجيريا بين حين وآخر مدفوعين بوعود الغرب لهم ودعمه وتأييده إلا لوأد التحاكم إلى الشريعة الربانية، والقضاء على الشعائر الإسلامية، وإرهاب المسلمين بانتهاك حرماتهم، وقتل أطفالهم، وبقر بطون حواملهم، وإحراقهم أحياء !! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إحراق المسلمين أحياء.. وقتل من حاولوا الفرار!!

والأحداث الأخيرة التي وقعت في نيجيريا، واشتعلت بسبب بناء مسجد قديم في قرية يسكنها أكثرية نصرانية، فقام مُتعصبون منهم بإحراق بيوت المسلمين وقتل خمسمائة نفس منهم الأطفال والنساء، ورمي جثثهم في الآبار، وقد شهدت بعض المنظمات الحقوقية أنهم رأوا هؤلاء المتعصبين أحرقوا بعض المسلمين أحياء، وقتلوا آخرين، أثناء محاولتهم الفرار، وأن النصارى تسلحوا بسيوف وأسلحة نارية، وعصي وحجارة، وأن الأطفال المسلمين كانوا يحاولون الهرب، والرجال كانوا يحاولون حماية النساء، والذين فروا إلى الأدغال قُتلوا، والبعض أحرق المساجد، والبعض الآخر ذهبوا إلى بيوت المسلمين وأحرقوها، وألقيت الجثث في الآبار، وتُرك هؤلاء المجرمون يومين كاملين يعيثون في المسلمين قتلاً وإرهابًا؛ لأن أكثر المتنفذين في الحكومة الفيدرالية من النصارى، رغم أن المسلمين تقارب نسبتهم ثمانين في المائة، ولكنها أكثرية مستضعَفة، كحال المسلمين في سائر أرجاء الأرض؛ فإن عددهم يفوق المليار ونصف المليار مسلم ومع ذلك فهم مستضعفون، وصدق فيهم قول رسولنا الأمين صلوات الله عليه وسلم: «ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل».

وقد حرص الاحتلال الإنجليزي قبل رحيله على إعطاء نفوذ كبير لمن تم تنصيرهم من الوثنيين إلى حدّ جعل رئيس الدولة مسيحيًا يحكم أغلبية مسلمة، ولك أن تتخيل حجم النفوذ المسيحي في كافة مؤسسات الدولة إذا كان الرئيس مسيحيًا!!

وظلت حملات التنصير تزيد من أوضاع المسلمين السيئة سوءًا، وازدادت الأقلية النصرانية قوة مدعومة من الدول الصليبية بكل أنواع المساعدات، ونشر الفتن والفوضى، واستفاد المنصّرون من انتشار الجهل والأمية بين المسلمين، كما استغلوا الفقراء منهم واليتامى، وحاجة المرضى للدواء في ظل فقدان أي دعم حقيقي من العالم الإسلامي!!

وإن أعظم شيء تميزت به هذه الأمة المباركة في النواحي الاجتماعية: قوة الرابطة الدينية، والأخوة الإيمانية بين أفرادها حين حصر الله سبحانه الأخوة في الإيمان، «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» [الحجرات: ١٠]، فهم إخوة وإن تباعدت ديارهم، وتباينت لغاتهم، واختلفت أجناسهم، ثم كرَّس النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى العظيم في كثير من الأحاديث، فقال صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.. ». رواه مسلم.

اللهم احفظ الإسلام والمسلمين في كل مكان، وانصرهم على أعدائهم يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

تفسير سورة الزمر

الحلقة الثانية

قال الله تعالى: « لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥) خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦) إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » [الزمر: ٣-٩]

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

دلائل التوحيد:

ثم ذكر الله تبارك وتعالى بعض دلائل قدرته، التي يستدل بها العقلاء على وحدانيته، وهي كثيرة، كما قال القائل:

فوا عجباً كيف يُعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد؟!
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

ذكر سبحانه وتعالى بعض دلائل قدرته التي يستدل بها أولو الألباب على وحدانيته، ومنها:

١ - خلق السموات والأرض:

قال تعالى: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ»: فالسموات في ارتفاعها، وما فيها من كواكب ونجوم، والأرض في اتساعها، وما فيها من بحار وأنهار، وما يخرج منها من زروع وثمار، كل ذلك دليل على توحيد الله، عز وجل.

٢ - الليل والنهار:

«وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»، «يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ»، «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ»، وبذلك يتم النقص والزيادة، والقصر والطول في كل منهما، وذلك من دلائل التوحيد، كما قال تعالى: « وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » [يس: ٣٧- ٤٠]، «كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى»، وهو يوم القيامة، كما في الحديث:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ

Upload by: altawhedmag.com

الشمس فقال: «يا أبا ذرٍّ أتدري أين تغربُ الشمسُ؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: فإنها تذهبُ حتى تسجدَ تحتَ العرشِ، فذلك قولُه تعالى: « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » [يس: ٣٨]» [البخاري ٤٨٠٢].

«ألا» أداة تنبيه، كأنه يقول: انتبهوا أيها الناس، «ألا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»، فمع العظمة والعزة والكبرياء هو غفار، كثير المغفرة، واسع المغفرة، يغفر لكل من استغفره وتاب إليه، سبحانه وتعالى.

٣- خلق الناس:

«خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا»:

من دلائل التوحيد خلق الإنسان، الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان الأول من طين، ثم خلق من آدم حواء، ثم خلق من آدم وحواء الذرية كلها، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» [النساء: ١].

٤- خلق الأنعام:

ومن دلائل التوحيد هذه الأنعام التي خلقها لكم: « وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ » [النحل: ٥- ٧].

«وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ»: أنزل بمعنى أنشأ وأحدث، كما قال: « يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا » [الأعراف: ٢٦]، والأزواج الثمانية هي التي ذكرها ربنا سبحانه في سورة الأنعام؛ حيث قال: «ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ » [الأنعام: ١٤٣- ١٤٤].

«ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ » خلقها الله لنا، وجعل لنا فيها منافع كثيرة، لا تخفى على عاقل، ولا ينفك الناس عن الحاجة إلى هذه الأنعام، حتى في عهد التكنولوجيا والحضارة، والسيارات المختلفة، لا يستغني الناس عن الحمار والجمل والجاموسة والبقرة، فالواجب على الناس أن يشكروا الله على ما سخر لهم من بهيمة الأنعام، كما قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ » [يس: ٧١- ٧٣].

أطوار خلق الإنسان:

ولما ذكر خلق الزوجين الأولين، وهما آدم وحواء، ذكر صفة خلق النسل والذرية، فقال: «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ»: هكذا أتى بالمضارع «يَخْلُقُكُمْ» حتى يفيد التجدد والاستمرارية، فالخلق متجدد ومتكرر دائمًا، ولذلك قال: «أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ » [ق: ١٥] «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» في القرار المكين، الذي لا تصل إليه الأيدي، ولا تمتد إليه الأعين، «خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ»، فصّله الله تبارك وتعالى في سورة المؤمنون، فقال: « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » [المؤمنون: ١٢- ١٤].

«يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ» هي ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة البطن.

من الذي يتصرف في هذا الجنين منذ خروج النطفة من صلب الرجل واستقرارها في رحم المرأة، إلى خروجها بشراً سوياً، «ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ»، هذا هو ربكم الذي يجب أن تفردوه بالعبادة، كما قال في آية أخرى: «ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ » [يونس: ٣]، وكما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » [البقرة: ٢١- ٢٢].

«ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ» [فاطر: ١٣]، فكيف تعبدون الفقير وتتركون عبادة الغني الذي «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ » [طه: ٦].

«ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أي لا معبود بحق إلا هو، فالله تعالى وحده هو الإله الحق، وكل ما عُبد من دونه فهو الباطل؛ لأن غير الله لم يخلق، ولم يرزق، ولا يحيي ولا يميت، فكيف يكون إلهاً؟! والله وحده هو الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، هو الذي يحيي ويميت ويرزق، هو الذي يدبر الأمر، فيجب أن يعبد

Upload by: altawhedmag.com

وحده، ولذلك قال تعالى: « ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ » [الروم: ٤٠].

ولما تبرأ إبراهيم عليه السلام من قومه ومما يعبدون من دون الله، « قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ» [الشعراء: ٧٥- ٧٧]، فإنه وَليِّي وأنا وَليُّه، فتبرأ من كل ما عُبِدَ من دون الله، وأثبت الولاية بينه وبين الله عز وجل وحده، ثم علل ذلك فقال: « ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ » [الشعراء: ٧٨- ٨٢] هل هناك غير الله يملك شيئاً من ذلك؟! «لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ»؟ كيف تصرفون عن الحقّ بَعد إذ تبين لكم، وثبت بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، أنه لا إله إلا هو، فكيف تعبدون غيره؟!

على أية حال، بعد أن قامت الحجة، وبطل الشرك، وثبت التوحيد، اعلموا أنه: «إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ»: فهو سبحانه حين يبين لكم بطلان الشرك، وثبوت التوحيد، بالأدلة الدامغة، والبراهين الواضحة القاطعة، إنما يفعل ذلك « لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ » [الأنفال: ٤٢]، وإلا فإن الله تعالى لا تنفعه طاعتكم، ولا تضره معصيتكم.

«إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ»، « ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ» [التغابن: ٦]، وقال تعالى: « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ » [إبراهيم: ٧- ٨].

الإرادة الكونية والشرعية:

«إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ»، فإذا كان لا يرضاه فكيف أراده؟

والجواب: أن الكفر كان في الأرض من الناس بإرادة الله الكونية القدرية، والإرادة القدرية لا تستلزم المحبة والرضا، إنما الإرادة الشرعية الدينية هي التي تستلزم المحبة والرضا، فكل ما يأمر به فهو يحبه ويرضاه، وكل ما نهى عنه فإنما يكرهه ويسخطه، فالله لا يرضى الكفر، ولكن الكفر كان بإرادته لحِكَم كثيرة يعلمها هو سبحانه وتعالى، منها ما صرح به في قوله: « وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ » [السجدة: ١٣]، وقوله تعالى: «وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » [النحل: ٩٣].

«إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ»: وإطلاق الشكر في مقابل الكفر دليل على أن الشكر هو الإيمان، كما في قوله تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» [الإنسان: ٢- ٣]، فالشاكر هو المؤمن، والكفور من كفر بالله وبأنعم الله، فهو كثير الكفر، ولذلك جاء بصيغة المبالغة.

التبعة الفردية:

«وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أي لا تحمل نفسٌ وزر نفس أخرى.

فإن قال قائل: فكيف يتفق هذا مع قوله تعالى: « وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ » [العنكبوت: ١٣]؟ فالجواب «وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» لم تكن سبباً في عملها، « وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ » التي كانوا سبباً فيها، كما في الحديث: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» [مسلم ١٠١٧]، و«مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، وَذَلِكَ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسَنَّ الْقَتْلَ» [الترمذي ٢٨١٣ وصححه الألباني].

وقفوهم إنهم مسئولون:

«ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، قال تعالى: « فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ » [الأعراف: ٦- ٧]، وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» [المجادلة: ٧].

«إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»، فلا يخفى عليه ما تسرون، كما لا يخفى عليه ما تعلنون، كما قال تعالى: « قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

Upload by: altawhedmag.com

قَدِيرٌ» [آل عمران: ٢٩]، ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: « يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » [لقمان: ١٦].

حال الإنسان في السراء والضراء:

ثم ذكر الله تعالى حال الإنسان في السراء والضراء، وأنه في الضراء يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، وفي السراء يفر من الله تعالى وينساه، «وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ»، وألحَّ في الدعاء، كما قال تعالى: « وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا » [يونس: ١٢]، فإذا زالت الغمة، وانكشفت الكربة، وزال الهم وجاء الفرج، «أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِه»، كما قال تعالى: «ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ» كأن لم يكن مصاباً قبل ذلك، وكأنه لم يشتك إلى الله شيئاً قبل ذلك، وليس ذلك فحسب، بل «وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِه» عن سبيل الله، الذي أجاب دعاءه، وأعطاه سؤله، وكشف عنه الضر، وفرّج عنه الكرب، فماذا يستحق هذا الإنسان؟ هل يستحق إلا العذاب؟! ولذلك قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم: «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً»، ولو متعه الدنيا كلها لكانت قليلة، « أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ » [الشعراء: ٢٠٥- ٢٠٧]، ولذلك قال تعالى: « لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ » [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧].

«قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ» يا من جعلت لله أندادًا «إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» لأن الله قضى ولا مبدل لكلماته: « إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ » [المائدة: ٧٢].

مدح العلماء العاملين:

ثم فرق الله تبارك وتعالى بين العلماء العاملين وبين غيرهم، فقال عز وجل: «أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه»: القنوت معناه الطاعة، ومن معانيه طول القراءة في الصلاة، «أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا» يصلي الليل كله، كما قال تعالى: « وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا » [الفرقان: ٦٤] يحملهم على ذلك رجاء الرحمة وخوف العذاب، «يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه» كما قال: « تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا » [السجدة: ١٦]، خوفاً من عذابه، وطمعاً في رحمته، فهذه هي الغاية من العبادة، أن ينجينا الله من النار، وأن يكرمنا بالجنة، هذه هي غاية المؤمنين، كما أنها غاية النبيين، كما قال تعالى عنهم: «إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ » [الأنبياء: ٩٠].

وَفِي الحَدِيثِ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِرَجُلٍ: كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ. قَالَ: أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لاَ أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلاَ دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ» [أبو داود ٧٧٨ وصححه الألباني].

وقد دل ذلك على بطلان قول بعضهم: ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك.

«أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه» كمن ليس كذلك؟ لا يستوون، ولذلك قال تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ»، هل يستوي العالم مع الجاهل؟ لا يستوون، وهل يستوي العامل مع غير العامل؟ لا يستوون أيضاً، قال العلماء: لا يمدح العالم على مجرد علمه حتى يكون عاملاً به؛ لأن الله تعالى قدم العمل على العلم، فقال: «أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ».

وقد أنكر الله على الذين يعلمون ولا يعملون، فقال تعالى: « أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » [البقرة: ٤٤]، وقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ » [الصف: ٢- ٣].

وفي الحديث: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِه فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيه، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيه» [متفق عليه].

«إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَاب» أي أهل العقول السليمة، والقلوب النيرة الزكية، فهم الذين يؤثرون العلم على الجهل، والعمل على الكسل والبطالة.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا. والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

آداب الأخوة والصحبة

الحلقة الأولى

إعداد/ سعيد عامر







الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فإن التآلف بين الناس يقع على حسب توافق الطباع والأخلاق، فأهل الخير يتآلفون مع بعضهم، وكذلك أهل الشر يفعلون؛ إذ الخَيِّر لا يميل إلا إلى الأخيار، فتلتقي روحه بروح إخوانه، أما الخبيث فيحن إلى الخبثاء الأشرار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». [صحيح مسلم: ٢٦٣٨].

فالأخوة في الله شراب طهور يسقيه الله المؤمنين الأصفياء الأتقياء، ولذا أحببت أن أذكر بآدابها:

أولا: مفهوم الأخوة:

قال الحافظ ابن حجر في قوله تعالى: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» [الحجرات: ١٠] يعني في التواد وشمول الدعوة.

والأخوة: هي رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام، مع كل من تربطك وإياه أواصر العقيدة الإسلامية وركائز الإيمان والتقوى.

إذ الأخوة لا يمكن أبدًا أن تتحقق إلا على عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها وكمالها، تلكم الأواصر التي لا ينفك عراها أبدًا، ومن هنا كانت الأخوة قرينة الإيمان، لا تنفك الأخوة عن الإيمان، ولا ينفك الإيمان عن الأخوة.

فالمؤمنون جميعًا كأنهم روح واحدة، حلت في أجسام متعددة؛ كأنهم أغصان متشابكة تنبثق كلها من دوحة واحدة.

فالأخوة التي أُمرنا بها ليست أخوة في اللسان فحسب، ولكنها أخوة عميقة كامنة في النفوس والقلوب، ولذا أخوة الدين أعلى من النسب والقرابة، ففي الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضُه بعضًا» رواه مسلم وغيره.

وفي «صحيح الجامع»: «المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان، كما يألم الجسدُ لما في الرأس».

وهذه الأخوة الموصولة بالله نعمةٌ امتن بها ربنا جل وعلا على المسلمين الأوائل، فمستحيل

Upload by: altawhedmag.com

أن تجد قانونًا وضعيًا على ظهر الأرض يؤلف بين القلوب أبدًا، قال الله تعالى: «لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ» [الأنفال: ٦٣].

ولقد تجلى هذا الواقع المشرق المضيء المنير يوم أن آخى النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً بين الموحدين في مكة، مع اختلاف ألوانهم وأشكالهم وألسنتهم وأوطانهم.

آخى بين حمزة القرشي وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي وصهيب الرومي، وأبي ذر الغفاري، وكأني بهؤلاء جميعًا يرددون:

أبي الإسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

ثم آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أهل المدينة من الأوس والخزرج بعد حروب دامية طويلة، وصراع مرير، دُمِّر فيه الأخضر واليابس، ثم آخى صلى الله عليه وسلم بين أهل مكة من المهاجرين وبين أهل المدينة من الأنصار، في ظاهرة حُبٍّ لم ولن تعرف البشرية له مثيلاً، تصافحت فيه القلوب وامتزجت فيه الأرواح، يجسد هذا الإخاء هذا المشهد الرائع ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتْ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، دُلُّونِي على السوق، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْيَمْ؟ قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟ قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ». [متفق عليه].

وعند مسلم: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي سلمة.

هذه هي الأخوة الصادقة، وهذا هو مفهومها، فإنها لا تبنى إلا أواصر العقيدة والإيمان، فالأخوة في الله قرينة الإيمان.

روى البخاري عن عروة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب عائشة إلى أبي بكر فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوك، فقال له: أنت أخي في دين الله وكتابه وهي لي حلال.







ثانيا: آداب الأخوة:

للأخوة آداب ينبغي لكل مسلم أن يتعرف عليها، ويتأملها، حتى تكون منهجًا عمليًا فتجلب له سعادة الدنيا والآخرة، ومن أعظم أسباب سعادة الدنيا في هذا المجال: تحقيق آداب الأخوة حتى تسود المحبة وتنتشر المودة ويكون المجتمع كله على قلب رجل واحد، كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

وعند مسلم أيضًا: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا».

وفي صحيح الجامع: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ».

وآداب الأخوة لا تزيدها الأيام إلا قوة ورسوخًا وقربًا، وهذه الآداب من مكملات الإيمان؛ وعلى هذا أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ؛وَلَا تُؤْمِنُونَ حَتَّى تَحَابُّوا؛ ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» [متفق عليه].

ومن آداب الأخوة:

١- الحب في الله والبغض في الله:

يجب أن تكون المحبة بين المسلمين محبة في الله، لا في مالٍ، ولا جاهٍ، ولا نسب، ولا أي شيء، إنما هي محبة في الله عز وجل قائمة بطاعة الله سبحانه، ولا يبغض إلا في الله ؛ لأنه لا يحب إلا ما يحب الله ورسوله، ولا يكره إلا ما يكره الله ورسوله.

فهو إذن يحب الله ورسوله يُحب بحبهما ويبغض ببغضهما.

عن أبي أمامة الباهلي: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان» [أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع].

Upload by: altawhedmag.com

وروى الطبراني وصححه الألباني: «أوثق عُرى الإيمان: الحب في الله، والبُغض في الله».

وروى النسائي: «إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور، ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء». فقالوا: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: «المتحابون في الله، والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله».

وروى أحمد والحاكم وصححه ومالك في الموطأ أن أبا إدريس الخولاني رحمه الله قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى شاب براق الثنايا والناس حوله، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن قوله ورأيه. فسألت عنه؟ فقيل: هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه، فلما كان الغد هجَّرت [أي ذهبت مبكرًا]، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي، فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك في الله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، قال: فأخذ بحبوة ردائي، فجبذني إليه، وقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين في، والمتباذلين فيَّ».

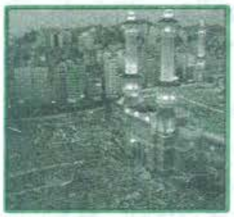
وفي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

وروى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». وفي رواية: «قد أوجب لك الجنة».

فشرط هذه الأخوة أن تكون لله وفي الله بحيث تخلو من شوائب الدنيا وعلائقها المادية بالكلية، ويكون الباعث عليها الإيمان بالله لا غيرُ.







والحب في الله ولله من موجبات محبة الله للعبد، وإذا أحب الله عبدًا سخر جوارحه لطاعته، فلا يسمع إلا الخير ولا يرى إلا المباح، ولا تمد يديه إلا إلى الخير، ولا تسعى رجله إلا إلى الطاعة.

روى البخاري في الحديث القدسي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ».

قال الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا» [مريم: ٩٦]. فالله عز وجل يجعل محبة المسلم الذي يعيش لله في قلوب عباده المؤمنين، وهذه لا ينالها مؤمن إلا إذا أحبه الله.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

وللحديث بقية، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم.

Upload by: altawhedmag.com

منبر الحرمين

عمل يسير وأجر كبير

إعداد/ فضيلة الشيخ
محمد بن صالح المنجد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

سبحان واسع الفضل والعطاء

عباد الله: ربنا كريم، ومن أسمائه تعالى المنان، يمن على عباده عز وجل، ومن أسمائه البر، والبر واسع العطاء، ومن أسمائه الوهاب يعطي بلا سؤال، ومن أسمائه الشكور فيعطي الأجر الكثير على العمل القليل، وهو سبحانه وتعالى كريم وهاب يهب واسع الفضل والعطاء بلا حدود سبحانه وتعالى، وهذا الكرم من الله يدفع المؤمن إلى المزيد والمزيد من العمل؛ لأنه إذا علم بأن ربه بهذه الأسماء وهذه الصفات فالعبد يتحفز للعمل.

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مقنّع بالحديد على مشارف المعركة، فقال: يا رسول الله أسلم أو أقاتل؟ ولم يكن الرجل قد أسلم، فقال: «أسلم ثم قاتل» فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عمل قليلاً وأُجر كثيراً»[رواه البخاري٢٨٠٨]، فإنه ليس بينه وبين الجنة إلا هذه الشهادة، وهذه الشهادة، الشهادة الأولى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والشهادة الثانية هذا القتل الذي حصل في المعركة فدخل الجنة ولم يسجد لله سجدة؛ لأنه لما أسلم كان أول واجب عليه حضور هذه المعركة.

فضائل التجارة مع الله

عباد الله: بيننا وبين الله تجارة، والتجارة مع الله ما فيها خسارة، والتجارة مع الله أرباحها مضاعفة، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الصف:١٠]، وهذه المضاعفات إلى عشرة، إلى مائة، إلى سبعمائة، إلى أكثر من ذلك، والله يضاعف لمن يشاء، أعمال قليلة من جهة الجهد والوقت، والأجر عظيم، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن صلى الفجر وقعد وقام ليدخل بيته فوجد جويرية رضي الله عنها من بعد الفجر جالسة كما هي، سألها: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال: «لقد قلت

Upload by: altawhedmag.com

بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم» طيلة الوقت هذا الماضي «لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» [رواه مسلم٢٧٢٦]، كم تأخذ حتى تقولها ثلاثاً يا عبد الله؟

ميزان الناس في الدنيا

يا مسلم: الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يصل فيه رحمه، ويعرف حق الله من جهة الزكاة، والواجبات الأخرى كفارات، نفقات، يعرف حق الله، والآخر رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالاً، لكنه قال: لو أن لي مال فلان لعملت بعمله، فهما في الأجر سواء، عجيب هذا ما عنده مال، وما الذي فعله؟ نية حسنة، وقال بلسانه: لو أن لي مال فلان لعملت بعمله، بنيت المساجد، ورتبت لمحفظي القرآن الرواتب، وجعلت للأسر والعوائل هذه الرواتب الشهرية، ونشرت علماً، ودعوة ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، قال: «فهما في الأجر سواء»[رواه ابن ماجه٤٢٢٨]، يعني من جهة الأصل، أما من جهة المضاعفة فلا شك أن الفاعل يمتاز بميزة، لكن من جهة الأصل أصل الأجر قبل المضاعفة، «هما سواء» ما الذي رفعه هذه الرفعة، ما الذي أعطاه هذا الأجر؟ حسن نيته، ليست قضية عسيرة، وشاقة، ولا تأخذ وقتاً، لكنها جمع القلب والرجاء من الله سبحانه وتعالى.

«إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا وهم معكم» شركوكم في الأجر، لماذا؟ قال: «حبسهم العذر» [رواه البخاري٤٤٢٣]؛ لأنهم فعلاً عندهم صدق نية، لو كانوا مستطيعين لخرجوا، «الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض» [رواه مسلم٢٢٣] كم تأخذ من الجهد؟ كم تأخذ من الوقت؟ الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه يتنافس عليها بضع وثلاثون ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً، عبد قالها مرة مؤتجراً مخلصاً يبتغي وجه الله، تنافس عليها أكثر من ثلاثين ملكاً أيهم يكتبها أولاً، ما هذا الكرم ما هذا الشرف، الله عز وجل يرسل ملائكته من أجلنا، لتكتب أعمالنا، وترفع أقوالنا، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر١٠].

ما أضعف الهمم!!

عباد الله: ماذا يأخذ من الوقت والجهد أن يقول الإنسان بعد الوضوء: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، لكن ماذا له؟ تفتح أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل، تفتح أبواب الجنة الثمانية، الجنة التي عرضها السماوات والأرض، الثمانية كلها تفتح لأجل أنه قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله بعد الوضوء، ما أكرمه ما أوهبه، ما أبره، ما أمَنَّه سبحانه.

عباد الله: عندما يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم ذنبه» [رواه البخاري٧٨٠ ومسلم٤١٠]، كلمة (آمين) كم تأخذ لتقال؟ كم ثانية؟ آمين المد الطبيعي حركتين (آمين) ست حركات، كم تأخذ حتى تقال؟ «من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»، على كلمة واحدة إذا قال الإمام في الأرض: آمين، قالت الملائكة في السماء: آمين، ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة، لكن بعض الناس يشرد ذهنه فيفوته أجر عظيم، أو لا يقولها في الوقت الذي من السنة أن تقال فيه، أو يمد أكثر أو يقصر أكثر، «من وافق تأمينه تأمين الملائكة».

أعمال يسيرة لها أجر كبير

يا مسلمون: والله إنها أعمال يسيرة وأجور عظيمة، وهكذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن بقيام ليلة القدر، قيام ليلة واحدة، الليلة كم يعني؟ عشر ساعات؟ إحدى عشر ساعة؟ اثنا عشر ساعة؟ ثم تقوم بعد صلاة العشاء، قيام ليلة ولا يشترط أن تقوم كل الليل، قيام ليلة أكثر من أجر عبادة ثلاثة وثمانين سنة، هل هناك كرم بعد هذا؟!

عباد الله: صيام يوم واحد، يوم عاشوراء يكفر سنة، ويوم عرفة يكفر سنتين، والصيام كم ساعة؟ اثنا عشر ساعة، ثلاثة عشر ساعة، يكفر سنتين، إذا كان هذا في صيام النافلة عاشوراء وعرفة، يا ترى رمضان الواجب الفرض الركن كم يكفر؟.

أيها المسلمون: بالوضوء تخرج الخطايا حتى تخرج آخر خطيئة مع آخر قطرة ماء، لمن نوى واحتسب، وأتقن الوضوء، وكذلك نجد أنه إذا قعد بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد ارتفاعها صلى ركعتين، بعد الفجر إلى طلوع الشمس كم الوقت؟ كم ستجلس؟ ساعة ونصف، «أجر حجة أجر عمرة تامة تامة تامة».[رواه

Upload by: altawhedmag.com

الترمذي٥٨٦].

يا مسلم عندما تذهب وأنت هنا إلى الحرم لتصلي فريضة واحدة كم يأخذ منك من الوقت والجهد؟ لكن يكتب الله لك بها مائة ألف صلاة من الصلاة في المساجد الأخرى، مائة ألف، وفي النبوي ألف، وصلاة ركعتين في مسجد قباء تعدل عمرة، الله أكبر، صلاة ركعتين كم تأخذ من الوقت في مسجد قباء تعدل عمرة، تشد الرحال إلى المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، فإذا صرت في المدينة كان قباء بجانبك.

أيها المسلمون: عندما يقول ربنا عز وجل: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) [سورة الزلزلة٧]، يعني: أن هذه الذرة الهباء الصغيرة جداً لا تضيع، حتى هذه لا تضيع، ولذلك لما جاءت مسكينة أو مسكين إلى عائشة وكان عندها عنقود عنب فأخذت حبات من العنب وأعطتها للمسكين حبات قليلة، تعجبت بعض النسوة عندها، فقالت عائشة لهن: تتعجبن تضحكن كم في هذه الحبات من مثاقيل الذر.

وهكذا سعد الصحابي لما جاء سائل وأعطاه تمرتين، وقبض يده، قال له: إن في التمرتين مثاقيل ذر كثيرة. اللهم إنا نسألك أن توفقنا إلى ما تحب وترضى، وأن ترزقنا الاستمساك بالعروة الوثقى.

أسس وقواعد التجارة مع الله تعالى

عباد الله: الله يعامل عباده على أسس، التجارة مع الله لها شروط فيها بنود، فيها عقد، ومن أدرك شروط العقد حاز الأرباح العظيمة من وراء هذا العقد:

أولاً: لا أجر بلا توحيد، فإذا كان العبد موحداً لله نال الأجور العظيمة؛ لأن الأساس موجود، فالبناء عليه سهل، ويتصاعد بسرعة، فإذا كان أساسك قوياً كان البنيان عالياً مرتفعاً، ولذلك مهما عمل الكافر والمشرك من الأعمال الخيرية ليس له مقابل عليها في الآخرة، يأخذه في الدنيا الآن، أولاد، صحة، منصب، شهرة، مال، يأخذه في الدنيا، حتى الكافر لو عمل أعمالاً خيرية يعطيه، لكن لا يعطيه في الآخرة؛ لأن سلعة الله غالية، والجنة لا يعطيها لكافر ولا مشرك،... اجتنبوا الشرك، يوم القيامة الكافر مهما كان عنده من أعمال خيرية، (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا) [سورة الفرقان٢٣]،(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) [سورة النور٣٩].

ثانياً: لا أجر بلا عمل، فالذين لا يعملون بماذا سيؤجرون، والأعمال منها أعمال قلب ومنها أعمال جوارح، وينبغي التفطن لهذا؛ لأن أعمال القلب فيها أجور عظيمة، الخشية، والإخلاص، والحياء من الله، والتوكل عليه، والخوف منه، ورجاء ثوابه، أعمال القلب عظيمة، وكذلك أعمال الجوارح، وهذه دليل على صحة هذه.

أيها المسلمون: إن من قواعد التعامل بين الله وخلقه أن الله يضاعف الأجر، والمضاعفة ؛ قال بعض العلماء: من خصائص هذه الأمة، يعني لم يكن العاملون في الأمم من قبلنا مثلنا مثلنا في المضاعفة إلى مائة إلى سبعمائة إلى أضعاف أخرى، وهذا من منة الله علينا، احمد ربك أنه جعلك في هذه الأمة، ولم تكن في أمم سابقة، شرف وفخر أن نكون من أمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فلا ذوبان في أعمال الكفار، وشخصيات الكفار، وأنظمة الكفار، نحن أمة مستقلة لنا تاريخ، لنا قائد، لنا كتاب، لنا دستور، لنا شخصية مستقلة واضحة بعقيدتها، وأخلاقها، وعباداتها.

شروط قبول العمل

أيها المسلمون: إنه لا بد من الإخلاص في العمل، ولو حصل رياء أو سمعة ذهب العمل، بل إنه جاء في الحديث أن من سمَّع سمَّع الله به يوم القيامة مسامع خلقه، وصغَّره وحقَّره؛ لأنه في الدنيا كان يريد الهالات الإعلامية، كان يريد الفخر، كان يريد الاستعلاء على العباد، كان يريد الشهرة، ما كان يريد وجه الله، فلا بد من الحذر من محبطات الأعمال؛ كالمن، والعجب، والرياء، ومنقصات الأعمال، مثل من اتخذ كلباً دون حاجة نقص من أجره كل يوم قيراطان.

كلما كان العمل أكثر نفعاً كلما كان أكثر أجراً، فالأعمال متعدية النفع؛ كالعلم، والدعوة إلى الله أجورها كبيرة جداً.

التحسر على فوات الأجر لو فاتتك جماعة المسجد، مثلاً التحسر على فوات الأجر يمكن أن ينتج أجراً؛ لأنه دليل الصدق.

الفاعل المباشر لا شك أنه أعظم أجراً ممن نوى فقط، ولكن من رحمة الله وكرم الله، أنه ينزل العاجز منزلة الفاعل في الأجر مع أنه ما عمل،

Upload by: altawhedmag.com

لماذا؟ لأنه كان له عادة، ولذلك «إذا مرض العبد أو سافر كتب له من الأجر مثلما كان يعمل صحيحاً مقيماً» [رواه البخاري٢٩٩٦]، فمن رحمة الله وكرم الله أنه نزّل العاجز منزلة الفاعل على حسب عادته التي كان عليها قبل أن يصاب بالعجز. هذه التعويضات، لا تعويضات وقوانين الأرض، هذه أعظم بكثير يا مسلم.

المسلم يُؤجر على الفعل والترك!!

يا عبد الله: المسلم يؤجر على الفعل والترك، حتى من كف شره عن الناس له أجر، فالترك لله يؤجر عليه وليس فقط الفعل لله، يؤجر على المباحات بحسن النية، لكن ليس هذا كل عمل المسلم أن يقول: أنام بنية الاستعانة، وآكل بنية الاستعانة على العبادة، وأستروح بنية الاستعانة، بنية العبادة، الاستروحات بالنية الحسنة لها أجر، لكن بقي الشيء الذي من أجله استروحت لا تنسه.

كلما اشتدت المشقة عظم الأجر، لكن المشقة لا تُقصد، فالإنسان إذا كان عنده طريق صعب وطريق سهل إلى مكة لا يذهب من الطريق الصعب، الأجر لا يكتب على مشقة متعمدة منك، لكن إذا حصلت المشقة فذهبت إلى مكة فازدحم الطريق فأخذ وقتاً مضاعفاً قدرًا من الله عند ذلك يضاعف الأجر «أجرُك على قدر نصبك» [رواه بمعناه مسلم ١٢١١].

والأعمال الموافقة للسنة أجرها أكبر من أعمال أطول أو أشق، فمثلاً قصر الصلاة للمسافر أكثر أجراً من إتمامه لها، مع أن هذه اثنتين وهذه أربع، تخفيف سنة الفجر أكثر أجراً من تطويلها لماذا؟ لأنها سنة محمد صلى الله عليه وسلم، بينما نجد من السنة في صلاة الفجر يوم الجمعة قراءة السجدة والإنسان وتأخذ وقتاً وجهداً، فإذن الشأن هو اتباع السنة سواءً ازدادت المشقة أو نقصت، المشي في الظلمات إلى المساجد الفجر والعشاء فيه أجر لمشقة الظلمة، ولا تزيلها الكهرباء كما قال العلماء، ولله الحمد، الأجر ما زال موجوداً في مشيك للفجر والعشاء حتى في هذا الزمان.

أيها المسلمون: الأكل من الأضحية والصدقة بالباقي أفضل من الصدقة بكل الأضحية؛ لأن من السنة الأكل من الأضحية ولو لقيمات، وهكذا نجد أن تكفير السيئات منصب على الصغائر؛ لأن الكبائر تحتاج إلى توبة خاصة، ونجده في كل حديث فيه «غفر له» يعني الصغائر، ولذلك لا بد من الانتباه للكبائر.

أنواع الأجور والميزات

ثم ماذا تريد يا عبد الله من أنواع الأجور والميزات فهو موجود، تريد مغفرة الذنوب هناك أعمال لها، تريد نيل محبة الله هناك أعمال لها، تريد مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم والقرب منه، فالذي يكفل يتيماً ويعول أرملة يكون بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة،.... من كظم غيظاً ؛ أنت تكون في الطريق في السيارة يعاكسك شخص، «من كظم غيظاً ولو شاء أن ينفذه أنفذه» ما عنده عجز «يخيره الله من الحور العين يوم القيامة ما شاء»[رواه الترمذي٢٠٢١].

تكظم غيظاً عن خادم، عن سائق، عن مخطئ، عن إنسان تجاوز عليك، تكظم غيظاً.... تريد رفع المنزلة تواضع لله.

تريد طول العمر وسعة الرزق صل رحمك.

تريد أن تكون في حراسة الله صلِّ الفجر في جماعة.

تريد أن تصلي عليك الملائكة صل على النبي صلى الله عليه وسلم، انتظر في المسجد من المغرب إلى العشاء، رابط من صلاة إلى صلاة، الملائكة طيلة الوقت وأنت جالس تستغفر لك.

تريد قصراً في الجنة اقرأ (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) [سورة الإخلاص١] عشر مرات يبنى لك قصر في الجنة، وهكذا تريد السلامة من حر النار والموقف أَنْظِر معسراً، تريد العتق من النار ذُبّ عن عرض أخيك في مجلس، كل شيء بمقابل، ما في أشياء تضيع عند الله (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ) [سورة الزلزلة: ٧- ٨].

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، واجعلنا من أهله يا رب العالمين، اللهم اغفر لنا الذنوب والسيئات، وكفّر عنا الزلات، وضاعف لنا الحسنات، اللهم إنا نسألك أن تجعل أعمالنا خالصة لوجهك يا رب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

القسم الثاني

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة الثانية

إعداد/ علي حشيش

٢٢- «مِنْ تَمَامِ الحَجِّ أَنْ تُحْرِمَ مِنْ دُوَيْرَةِ أَهْلِكَ».

الحديث لا يصح: أخرجه البيهقي في «السنن» (٣١/٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وفيه جابر بن نوح الحماني، ليس بشيء، وأورد له الإمام الذهبي في «الميزان» (١٤٢١/٣٧٩/١) هذا الحديث من مناكيره، وكذلك الإمام ابن عدي في «الكامل» (٥٠/٢) وقال: «لا يُعرف إلا بهذا الإسناد، ولم أر له أنكر من هذا». فالحديث منكر يخالف حكمة تشريع المواقيت.

٢٣- «حُجُّوا، فَإِنَّ الحجَّ يغسلُ الذُّنُوبَ كَمَا يَغْسِلُ الماءُ الدَّرَنَ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الحجاج يوسف بن خليل في «السباعيات» (١/١٨/١)، والطبراني في «الأوسط» من حديث عبد الله بن حراد مرفوعًا كما في «المجمع» (٢٠٩/٣) وقال الهيثمي: وفيه يعلى بن الأشدق، وهو كذاب. فالحديث موضوع.

٢٤- «حُجُّوا قَبْلَ أَنْ لا تَحُجُّوا، يَقْعدُ أعْرَابُها عَلَى أَذْنَابِ أَوْدِيَتِها فَلاَ يَصلُ إلى الحجِّ أحدٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه البيهقي في «السنن» (٣٤١/٤)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٧٦/٢، ٧٧)، والخطيب في «التلخيص» (٩٦/٢)، وفيه عبد الله بن عيسى وهو الجندي، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٤٩٩/٤٧١/٢): عبد الله بن عيسى الجندي يروي عن محمد بن أبي محمد عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا: «حجوا قبل أن لا تحجوا...» الحديث، ثم قال: «وهذا إسناد مظلم وخبر منكر». فالحديث باطل.

٢٥- «حُجُّوا قَبْلَ أَنِ لاَ تَحُجُّوا، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى حَبَشِي أَصْمَع، أَفْرَع، بِيَدِهِ مِعْوَلٌ يَهْدِمُها حَجَرًا حَجَرًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم (١٤٨/١)، وأبو نعيم (١٣١/٤)، والبيهقي (٣٤٠/٤) عن عليّ مرفوعًا، وفيه حصين بن عمر الأحبسي واهٍ جدًا، واتهمه بعضهم، فالحديث موضوع، وفيه أيضًا الحماني، ولكنه تُوبع عند ابن عدي (١٠٢/٢).

٢٦- «تَحيةُ البَيْتِ الطَوَافُ».

الحديث لا يصح: لا أصل له، أورده صاحب «الهداية» بلفظ «من أتى البيت فليحيه بالطواف». قال الحافظ الزيلعي في تخريجه (٥١/٢): «غريب جدًا» أي لا أصل له، وقال الحافظ ابن حجر في «الدراية» ص(٩٢): «لم أجده».

تنبيه: لا يمكن للداخل إلى المسجد الحرام الطواف كلما دخل المسجد في أيام المواسم، أما السُّنَّة في حق المُحْرِم أن يبدأ بالطواف ثم بالركعتين بعده، وأما غير المحرم كلما دخل المسجد الحرام فعموم الأدلة الواردة في الصلاة قبل الجلوس تشمل المسجد الحرام.

٢٧- «حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيئَاتُ المُقَرَّبِينَ».

Upload by: altawhedmag.com

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤٤/٤) بلفظ: «قال القائل الصادق: حسنات الأبرار سيئات المقربين».

قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٨٣/١٨): «هذا كلام بعض الناس وليس هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم». اهـ. لذا قال العجلوني في «كشف الخفا» (٣٥٧/١): «هو من كلام أبي سعيد الخراز كما رواه ابن عساكر في ترجمته». اهـ. فقد رواه ابن عساكر (١٣٧/٥) بلفظ: «ذنوب المقربين حسنات الأبرار» من طريق الخطيب، لذا أخرجه في «التاريخ» (٢٧٧/٤) فالحديث باطل لا أصل له.

٢٨- «لِكل أمَّة مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هَذِه الأمةِ الذينَ يَقُولونَ: لا قَدَرَ. إن مَرِضُوا فَلا تَعُودوهم، وإنْ مَاتوا فَلا تشهدُوهُمْ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٤٦/٢)، وفيه عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر، رُمي بالكذب، وقال يحيى: ليس بشيء، وفي «المراسيل» (٤٨٥) لابن أبي حاتم روى عن أبيه، قال وكيع: كانوا يقولون: «لم يسمع من أبيه»، فالحديث مع الطعن مرسل خفي، وهو من روايته عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا؛ فالحديث موضوع.

فائدة: يغني عن هذا الكذب أول حديث في صحيح مسلم في سؤال يحيى بن يعمر لابن عمر رضي الله عنهما: «ظهر قبلنا ناس يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف...». اهـ.

٢٩- «مَنْ قرأ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» مَائتي مَرَّةٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَمائةِ حَسَنَة إلاَّ أَنْ تَكُونَ عَلَيه دَيْنٌ». اهـ.

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب (٢٠٤/٥) من طريق أبي الربيع الزهراني، حدثنا حاتم بن ميمون عن ثابت عن أنس مرفوعًا، قال ابن حبان في «المجروحين» (٢٧١/١) يروي عن ثابت البناني، روى عنه أبو الربيع الزهراني منكر الحديث لا يجوز الاحتجاج به بحال، فالحديث موضوع.

٣٠- «مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِفضلِ صَوْمٍ وَلاَ صَلاةٍ ولَكِنْ بِشَيءٍ وَقَرَ فِي قَلْبه».

الحديث لا يصح: أورده السخاوي في «المقاصد» (ح٩٧٠) وقال: ذكره الغزالي وقال العراقي: لم أجده مرفوعًا. وهو عند الحكيم الترمذي في «أنوار الأصول» من قول بكر بن عبد الله المزني.

٣١- «إنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ: مَنْ خَالَفَ سُنَّةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَتُهُ». اهـ.

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (كتاب العلم، باب آفات العلم) (١١٠/١).

وقال العراقي: «لم أجد له أصلاً».

٣٢- «تَذْهَبُ الأَرَضُونَ كُلها يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ المَسَاجِدَ فَإنَّها تَنْضَمُّ بَعْضُهَا إلى بَعْض».

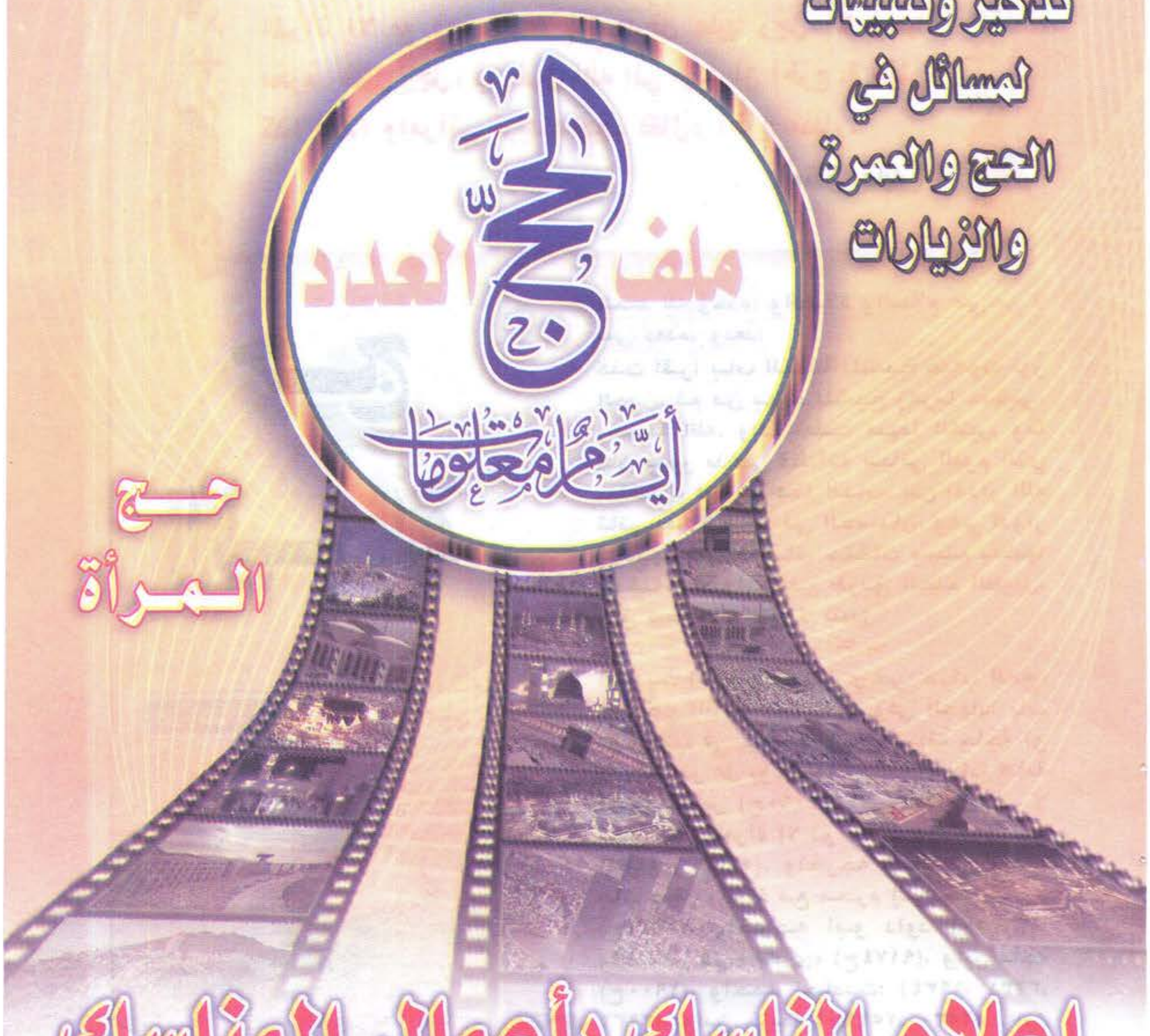
الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢١/١)، وابن عدي في «الكامل» (٢٧/٢) عن ابن عباس مرفوعًا، وفيه أصرم بن حوشب الهمداني، قال فيه ابن معين: «كذاب خبيث»، أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٨١/١) فالحديث موضوع.

Upload by: altawhedmag.com

التوحيد

أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في الحج مع أهله

تذكير وتنبيهات لمسائل في الحج والعمرة والزيارات



حج المرأة

إعلام الناسك بأعمال المناسك

Upload by: altawhedmag.com

- عن أبي معبد مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلَا يَدْخُلْ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ فِي جَيْشِ كَذَا وَكَذَا وَامْرَأَتِي تُرِيدُ الْحَجَّ، فَقَالَ: اخْرُجْ مَعَهَا».

(متفق عليه)

حج المرأة

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

كنت أقرأ باب السنة للشيخ صفوت نور الدين، ثم من بعده للشيخ زكريا حسيني، رحمهما الله، ولقد تعلمت منهما الكثير، وما كان يدور بذهني قطّ أنه سيأتي اليوم الذي سأشارك فيه في هذا الباب، لكن أقدار الله تأتي بما لا يدور في الحسبان، وهي أدوار نؤديها في الحياة، حلقات يسلم بعضها بعضا، خطوات على طريق العلم الطويل، وفق سنة الله التي لا تتبدل.

تخريج الحديث

الحديث أخرجه البخاري في: كتاب الحج، باب حج النساء (ح١٨٦٢)، وفي الجهاد: باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجّة أو كان له عذر هل يؤذن له؟ (ح٣٠٠٦)، باب كتابة الإمام الناس (ح٣٠٦٠)، وفي النكاح: باب لا يخلو رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة (ح٥٢٣٣)، وأخرجه مسلم في الحج: باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (ح١٣٤١)، وأخرجه أبو داود (ح٢٨٥٥)، والنسائي في «الكبرى» (ح٩١٧٤)، وابن ماجه (ح٢٩٠٠)، وأحمد أحاديث: (١٩٣٤، ٣٢٣١، ٣٢٣٢)، وابن خزيمة (ح٢٥٢٩، ٢٥٣٠)، وابن

Upload by: altawhedmag.com

حبان (ح٢٧٣١)، وأبو يعلى (ح٢٣٩١)، وابن أبي شيبة (ح١٥١٧٥)، وغيرهم.
كلهم أخرجوه من طرق عن عمرو بن دينار، عن أبي معبد، فالحديث مداره على عمرو بن دينار الذي سمعه من أبي معبد، وبه اختلاف في بعض ألفاظه، سنذكر ما نحتاجه منها عند الشرح.

رواة الحديث

وفي الحديث من الرواة:
- ابن عباس: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير وُلد بشِعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، وانتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللهم علمه التأويل، وفقهه في الدين». [مسند أحمد بسند صحيح].
وكان ابن عباس من أعلم الصحابة في تفسير القرآن، قاله عنه ابن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس». وقال ابن عمر: «هو أعلم الناس بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم».
وكان عمر رضي الله عنه يقرّبه ويُجلسه مع شيوخ الصحابة، وذلك لعلمه وعقله وفضله.
ذكر ابن حزم أن فتاوى ابن عباس جُمعت في عشرين كتابًا. «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (٥/٩٢).
مناقبه كثيرة، توفي سنة ثمان أو سبع وستين من الهجرة، ذكر الذهبي أن مسنده: ألف وستمائة ومائة وستون حديثًا. (انظر سير الأعلام ٣/٣٣١- ٣٥٩).
- عمرو بن دينار: الإمام الكبير، الحافظ، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه، أفتى بمكة ثلاثين سنة، ولد في إمارة معاوية رضي الله عنه سنة خمس أو ست وأربعين، سمع من ابن عباس وغيره من الصحابة، كان من أوعية العلم وأئمة الاجتهاد، توفي سنة خمس أو ست وعشرين ومائة. [انظر سير الأعلام ٥/٣٠٠- ٣٠٧، تهذيب التهذيب ٨/٢٩-٣٠].
- أبو معبد: نافذ مولى ابن عباس، كان من أصدق موالي ابن عباس، سمع من عمرو بن دينار وغيره، توفي بالمدينة سنة أربع ومائة. [انظر التهذيب ١٠/٤٠٤].

تمهيد:

شروط حج المرأة: هي ذاتها شروط حج الرجل: الإسلام، العقل، البلوغ، الحرية، الاستطاعة.
إلا أنه يضاف إليها بالنسبة للمرأة أن يصحبها محرم لها - كما سنرى بالتفصيل - وأيضا ألا تكون معتدة عن طلاق أو وفاة - عند الجمهور -، أما الحنابلة فقد فرقوا بين عدة الوفاة والطلاق، فجوَّزوا لها أن تخرج للحج في عدة الطلاق البائنة (الذي لا رجعة فيه)، ولم يجوِّزوا لها في عدة الوفاة. [انظر المغني لابن قدامة ٣/٢٣٢].

شرح الحديث

في رواية للحديث (عند البخاري) أن ابن عباس سمع الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب.
قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسافر المرأة»: ورد السفر مطلقًا بدون تحديد مدة زمنية، بمعنى أنها لا تسافر بمفردها في كل ما سُمِّي سفرًا، لكن وردت أحاديث أخرى تحدِّد مددًا زمنية للسفر، منها:
١- حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم». [البخاري: ١٠٨٦، وأورده مسلم بنحوه عن أبي سعيد الخدري: ح١٣٤٠].
٢- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن لا تسافر امرأة مسيرة يومين ليس معها زوجها أو ذو محرم..» [البخاري: ١٨٦٤، ٨٢٧].
٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة». [البخاري: ١٠٨٨، ومسلم: ١٣٣٩].
وقد ورد حديث أبي هريرة عند أبي داود وغيره بلفظ: «بريدًا» (البريد: اثنا عشر ميلاً، قال النووي: مسيرة نصف يوم)، بدلاً من يوم وليلة.
قال الحافظ ابن حجر: هو شاذ بهذه اللفظة «بريدًا» (والمحفوظ رواية يوم وليلة). [فتح

Upload by: altawhedmag.com

الباري ٢/٥٦٩، وكذلك الألباني قال بشذوذها. [السلسلة الضعيفة ح٥٧٢٧].

كيفية الجمع بين هذه الأحاديث

القول بالنسخ بعيد لعدم علمنا المتقدم من المتأخر من الروايات، ولعدم تصريح الرواة بالنسخ، وكما هو مقرر في الأصول: أن الأصل عدم النسخ حتى يأتي دليله.

قال النووي: قال العلماء: اختلاف هذه الألفاظ لاختلاف السائلين واختلاف المواطن، وليس في النهي عن الثلاثة تصريح بإباحة اليوم والليلة، أو البريد... ثم نقل كلام البيهقي المؤيد لهذا المسلك في الجمع بين الأحاديث.. ثم قال: وليس في هذا كله تحديد لأقل ما يقع عليه اسم السفر، ولم يُرد صلى الله عليه وسلم تحديد أقل ما يسمى سفرًا، فالحاصل أن كل ما يُسمَّى سفرًا تنهى عنه المرأة بغير زوج أو محرم سواء كان ثلاثة أيام أو يومين أو يومًا أو بريدًا أو غير ذلك لرواية ابن عباس المطلقة: لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم، وهذا يتناول جميع ما يسمى سفرًا، والله أعلم. [شرح النووي على مسلم ٩/١٠٣- ١٠٤].

- في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسافر المرأة»: لفظ عام يشمل كل امرأة صغيرة أو كبيرة، جميلة أو قبيحة، إلا أن بعض العلماء نظر إلى علة النهي في الحديث، فخصص عموم الحديث بالمعنى، وهو خوف الفتنة، فقصر النهي على المرأة الشابة دون العجوز.

قال ابن دقيق العيد: وقال بعض المالكية: هذا عندي في الشابة، أما الكبيرة غير المشتهاة، فتسافر حيث شاءت في كل الأسفار، بلا زوج ولا محرم.

وخالفه بعض المتأخرين من الشافعية من حيث إن المرأة مظنة الطمع فيها، ومظنة الشهوة، ولو كانت كبيرة، وقد قالوا: لكل ساقطة لاقطة. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ٢/٥٥).

قال ابن عثيمين:» وظاهر الحديث أنه لا فرق بين المرأة الشابة والكبيرة، الحسناء والقبيحة ومن معها نساء ومن لا نساء معها ومن هي آمنة وغير آمنة». [شرح رياض الصالحين ٤/٦٢٨].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «إلا مع ذي محرم»:

والمحرم: هو من تحرم عليه تحريمًا مؤبدًا بنسب أو مصاهرة أو رضاعة، ويشترط للمحرم ما يلي: **الأول:** أن يكون مسلمًا (وفصَّل بعضهم في جواز أن يكون الكافر محرمًا للمسلمة كالأب الكافر مع ابنته المسلمة، وقال ابن عثيمين: بشرط أن يؤمن عليها).

الثاني: أن يكون بالغًا، فالصغير لا يكفي أن يكون محرمًا؛ لعدم قدرته على حماية المرأة وصيانتها.

الثالث: أن يكون عاقلاً. [الشرح الممتع لابن عثيمين بتصرف ٧/٤٠، ٤١].

هل على المرأة حج إذا فقدت المحرم؟

بمعنى: هل المحرم من السبيل الذي ذكر الله في الحج أم لا؟

ففي قوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» [آل عمران: ٩٧]. أمر على العموم، وكما هو متعارف يدخل فيه الرجال والنساء، طالما لا توجد قرينة تخص الأمر على أحدهما، فعموم الآية يقتضي أنه إذا وجدت المرأة الاستطاعة وجب عليها الحج.

وقد ذكرنا الأحاديث التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم المرأة منها عن السفر إلا مع أحد محارمها وهو عامة الأسفار، فتخصص الآية بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وتفارق المرأة الرجل في شرط وجود المحرم حتى تتحقق لها الاستطاعة.

لكن قال بعضهم: نعمل بالآية، ويخرج سفر الحج عن النهي؛ لأنه خرجت بعض الأسفار من عموم النهي: فيجوز سفر المرأة وحدها للهجرة من دار الحرب، والمخافة على نفسها، ولقضاء الدين، ورد الوديعة والرجوع من النشوز، وهذا مجمع عليه.

(قلت: هذا من باب تعارض مفسدتين فيقدم أدناهما، وهو أجيز للضرورة، لكن السفر إلى الحج يفارق هذه الأسفار؛ لأن مدار الحج على الاستطاعة، وهو سفر اختيار).

وقالوا أيضًا: بين الآية والأحاديث عموم وخصوص، ويحتاج إلى الترجيح من خارج. لذا ذهب بعض الظاهرية إلى الترجيح بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»، لكن هذا غير متجه، ويخصص بالمساجد التي لا تحتاج

Upload by: altawhedmag.com

المرأة فيها للسفر.
واحتج بعضهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تخرج الظعينة من الحيرة تؤم البيت لا جوار معها». وتعقب بأن الحديث يدل على وجود ذلك - حكاية أمر سيقع - ولا يدل على جوازه، فتطرق الاحتمال إليه، فالأولى حمله على عدم الجواز جمعًا بينه وبين أحاديث النهي التي ذكرناها.

هل الرفقة المأمونة تكون بديلاً للمرأة عن المحرم؟

هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فظاهر الأحاديث ينهي عن سفرها إلا مع محرم.
قال الصنعاني في «سبل السلام»: واختلفوا في سفر الحج الواجب، فذهب الجمهور إلى أنه لا يجوز للشابة إلا مع محرم. [سبل السلام ١/٦٠٨].
وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أحاديث نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سفر المرأة بمفردها، ثم قال: فهذه نصوص من النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم سفر المرأة بغير محرم، ولم يخصص سفرًا من سفر، مع أن سفر الحج من أشهرها وأكثرها، فلا يجوز أن يغفله، ويهمله ويستثنيه بالنية من غير لفظ، بل قد فهم الصحابة منه دخول سفر الحج في ذلك لما سأله ذلك الرجل عن سفر الحج، وأقرهم على ذلك، وأمره أن يسافر مع امرأته، ويترك الجهاد الذي قد تعين عليه بالاستنفار فيه، ولولا وجوب ذلك لم يُجز أن يخرج سفر الحج من هذا الكلام، وهو أغلب أسفار النساء. [شرح عمدة الفقه لابن تيمية ٢/ ١٧٤- ١٧٥].
لكن هناك من العلماء من نظر إلى المعنى، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى المرأة عن سفرها بمفردها خوفًا عليها من الفتنة وعدم أمن الطريق، فقالوا: إذا تحقق الأمن برفقة مأمونة جاز لها أن تخرج إلى الحج، ومن قال بذلك الشافعية والمالكية، ففي «الموسوعة الفقهية»: «وعند الشافعية تخرج مع محرم أو زوج أو جماعة من النساء.
أما حج النفل فلا يجوز للمرأة السفر إلا مع الزوج أو المحرم فقط اتفاقًا، ولا يجوز لها السفر بغيرهما، بل تأثم به. [الموسوعة الفقهية ١٧/ ٢٥، ٢٦].
وقد فرّق بعض أهل العلم بين المرأة الشابة والعجوز، على أن العجوز تحقق الأمن لها من ناحيتين: الناحية الأولى: الرفقة المأمونة، والثانية: عدم طمع الرجال فيها، فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: هل يجوز أن تحج المرأة بلا محرم؟
فاجاب: إن كانت من القواعد اللاتي لم يحضن وقد يئست من النكاح ولا محرم لها، فإنه يجوز في أحد قولي العلماء أن تحج مع من تامنه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد ومذهب مالك والشافعي. [مجموع الفتاوى ٢٦/١٣].
قلت: ما وقفت عليه من جواز سفر المرأة مع الرفقة المامونة في مذهب الشافعي ومالك، لم أجد فيه التفرقة بين العجوز والشابة، والله أعلم.
قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم»:
فيه نهي عن الاختلاء بالمرأة، وقد ورد ذلك صريحًا في رواية: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم»، وهو إجماع بين أهل العلم، فعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان». [صحيح سنن الترمذي وغيره].
وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «اخرج معها». وفي رواية: «انطلق فحج مع امرأتك». ورواية: «فارجع معها». أخذ بظاهره بعض أهل العلم فأوجب على الزوج السفر مع امرأته إذا لم يكن لها غيره، وبه قال أحمد وهو وجه للشافعية، والمشهور أنه لا يلزمه. [فتح الباري ٤/ ٧٧].
واستدل به على أنه ليس للزوج منع امرأته من حج الفرض (إن كان لها محرم غيره)، وبه قال أحمد، وهو وجه للشافعية، والأصح عندهم (الشافعية) أن له منعها لكون الحج عندهم على التراخي.
قال النووي: وفي الحديث تقديم الأهم فالأهم من الأمور المتعارضة، فإنه لما عرض له الغزو والحج، رجح الحج؛ لأن امرأته لا يقوم غيره مقامه في السفر معها بخلاف الغزو، والله أعلم. [فتح الباري ٤/ ٧٧، ٧٨].
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

إعلام الناس

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

مما يجب على كل مسلم يريد أداء فريضة الحج - ويريد العمرة كذلك - أن يتعلم أحكامهما، بشكل صحيح؛ حتى يؤدي هذه الفريضة على الوجه الأكمل، الذي يحبه الله ويرضاه، وحتى ينطبق عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»أخرجه البخاري، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ، وَالْعُمْرَتَانِ أو الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ يُكَفِّرُ مَا بَيْنَهُمَا» (مسند أحمد برقم (٧٥٥٧) وهو حديث صحيح).[الخلاصة في احكام الحج والعمرة علي بن نايف الشحود ١٦/١].

وإذا توجه الحاج أو المعتمر قاصداً بيت الله الحرام للحج أو العمرة؛ فلا بد له من المرور على المواقيت المكانية التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أَمَاكِنُ وَقَّتَهَا الشَّارِعُ أَيْ حَدَّدَهَا لأَدَاءِ أَرْكَانِ الْحَجِّ، لاَ تَصِحُّ فِي غَيْرِهَا، وقد اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَقْرِيرِ الأَمَاكِنِ الآتِيَةِ مَوَاقِيتَ لأَهْلِ الآفَاقِ الْمُقَابِلَةِ لَهَا، وَهَذِهِ الأَمَاكِنُ هِيَ: ذُو الْحُلَيْفَةِ: مِيقَاتُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ مَرَّ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا. وَتُسَمَّى الآنَ « أَبَارُ عَلِيٍّ » فِيمَا اشْتُهِرَ لَدَى الْعَامَّةِ. والْجُحْفَةُ: مِيقَاتُ أَهْلِ الشَّامِ، وَمَنْ جَاءَ مِنْ قِبَلِهَا مِنْ مِصْرَ، وَالْمَغْرِبِ. وَيُحْرِمُ الْحُجَّاجُ مِنْ « رَابِغٍ »، وَتَقَعُ قَبْلَ الْجُحْفَةِ، إِلَى جِهَةِ الْبَحْرِ، فَالْمُحْرِمُ مِنْ « رَابِغٍ » مُحْرِمٌ قَبْلَ الْمِيقَاتِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الإِحْرَامَ مِنْهَا أَحْوَطُ لِعَدَمِ التَّيَقُّنِ بِمَكَانِ الْجُحْفَةِ. وقَرْنُ الْمَنَازِلِ: مِيقَاتُ أَهْلِ نَجْدٍ، . وَهُوَ أَقْرَبُ الْمَوَاقِيتِ إِلَى مَكَّةَ، وَتُسَمَّى الآنَ « السَّيْلُ الكبيرُ ».و يَلَمْلَمُ: مِيقَاتُ بَاقِي أَهْلِ الْيَمَنِ وَتِهَامَةَ، وَالْهِنْدِ. وَهُوَ جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةَ، جَنُوبَ مَكَّةَ. وذَاتُ عِرْقٍ: مِيقَاتُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَسَائِرِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ. فعن ابن عباس قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم وقَّت لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة) متفق عليه.

الإحرام من الميقات

فهذه المواقيت المكانية لأهلها ومن أتى عليها من غير أهلها، ومنها يشرع الحاج والمعتمر الدخول في النسك، ومن كان منزله دون هذه المواقيت المكانية، فهو يحرم من محله، ولا يلزمه الرجوع إلى الميقات للشروع في الإحرام.

ومن أتى حاجاً أو معتمراً راكباً الطائرة، فإنه يحرم ويدخل في النسك؛ إذا حاذى الميقات، ولا يجوز لراكب الطائرة المريد للحج أو العمرة أن يتجاوز الميقات المكاني دون إحرام؛ وعلى من تجاوز الميقات المكاني دون إحرام فعليه أن يرجع إلى الميقات المكاني ويحرم منه ليتدارك فعل الواجب، فإن لم يرجع فعليه فدية تُذْبَح في مكة وتُوزَّع على فقرائها، ولا يأكل منها شيئاً. [الخلاصة من احكام الحج والعمرة فؤاد الشلهوب ٤/١]

وفي الميقات المكاني يقوم الحاج أو المعتمر بإزالة الشعر غير المرغوب فيه في الإبطين والعانة، ويغتسل، وذلك لثبوته عن النبي. فإنه « تجرد لإهلاله واغتسل » ويتجرد من المخيط، ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين نظيفين، ويستحب له أن يطيِّب بدنه بما يتيسر له من الطيب دون ملابس الإحرام؛ لأن النبي (كان يطيب عند الإحرام رأسه، ولحيته) ثم يحرم الحاج والمراد بالإحرام النية وليس الاغتسال ولبس ثياب الإحرام، وأكثر العامة يحملون معنى الإحرام على لبس ثياب الإحرام وليس كذلك، والإحرام نية الدخول في النسك.

وقبل أن يدخل الحاج في نسكه يختار أي الأنساك يريد، وهي التمتع، والقران، والإفراد.

(فالتمتع: هو أن يأتي بأعمال العمرة ثم يتحلل منها بحلق أو تقصير، ثم إذا كان يوم التروية أهل بالحج. والإفراد: أن يحرم بالحج فقط من الميقات، ويبقى على إحرامه حتى يؤدي أعمال الحج. والقران: أن يحرم بالعمرة والحج معا. ويلزم المتمتع والقارن هد ي يذبح في يوم النحر أو في أيام التشريق. وَالصِّلَةُ بَيْنَهُمَا أَنَّ فِي الْقِرَانِ إِتْمَامَ نُسُكَيْنِ بِإِحْرَامٍ وَاحِدٍ دُونَ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا إِلاَّ بَعْدَ تَمَامِهِمَا مَعًا، أَمَّا فِي التَّمَتُّعِ فَإِنَّهُ يُتِمُّ الْعُمْرَةَ، ثُمَّ يَتَحَلَّلُ مِنْهَا، وَيُنْشِئُ حَجًا بِإِحْرَامٍ جَدِيدٍ. وأفضل هذه الأنساك وأيسرها هو التمتع، وفي

Upload by: altawhedmag.com

ـك بأعمال المناسك

إعداد/ د. حمدي طه

ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لأحللت..» الحديث رواه مسلم.

فإذا أحرم الحاج أو المعتمر، فإنه يصير بذلك محرماً يحظر عليه عدة أمور، وَيَجِبُ فِي ارْتِكَابِ شَيْءٍ مِنْ مَحْظُورَاتِ الإِحْرَامِ الجَزَاءُ، وَفِي الْجِمَاعِ خَاصَّةً فَسَادُ الحج أو الْعُمْرَةِ وَالْكَفَارَةُ وَالْقَضَاءُ، عَدَا مَا حَرُمَ مِنَ الرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ فَفِيهَا الإِثْمُ وَالْجَزَاءُ الأُخْرَوِيُّ فَقَطْ.

-ويستحب للحاج والمعتمر إذا أحرم، أن يلبي ويشتغل بالتلبية، (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) والذكر وقراءة القرآن. فينبغي للرجل أن يرفع صوته امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم واتباعاً لسنته وسنة أصحابه. فإذا وصل الحاج إلى مكة فإن كان متمتعاً شرع في أعمال العمرة، فإذا دخل المسجد الحرام يدخل كما يدخل أي باب من أبواب المساجد، يقدم رجله اليمنى، ويقول: ((بسم الله، اللهم صلى على محمد، اللهم أفتح لي أبواب رحمتك)) فإذا عاين الكعبة اضطبع فأخرج كتفه الأيمن وغطى كتفه الأيسر بردائه، ثم طاف بالبيت سبعة أشواط، ولا يصلي تحية المسجد لأن دخول المسجد للطواف أغناه عن تحية المسجد ويبتدئ الطواف بالحجر الأسود ويجعله عن يساره، فإن أمكنه تقبيل الحجر الأسود قبله، لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقبله، فإن شق عليه التقبيل استلمه بيده وقبل يده، وإن شق عليه أشار إليه ولا يقبل يده مع الإشارة، وكل هذه الصفات وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي مرتبة حسب الأسهل وعلى الحاج والمعتمر أن لا يتكلف الوصول إلى الحجر إذا كان سيتسبب في إيذاء الحجاج والمعتمرين. ويجعل الكعبة عن يساره في الطواف، وفي الطواف يكثر من الذكر، ويقول ما ورد أي: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ومنه عند ابتداء الطواف « بسم الله والله أكبر، اللهم إيماناً بك، وتصديقاً بكتابك، ووفاءً بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد كما كان ابن عمر يقول ذلك.

أما في الأشواط الأخرى، فإنه يكبر كلما حاذى الحجر اقتداء برسوله الله صلى الله عليه وسلم، ويشرع قراءة القرآن، وإذا مر بالركن اليماني استلمه، ويقول الذكر الوارد بين الركنين اليمانيين: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

فيطوف المعتمر سبعة أشواط، والذي ليس من أهل مكة يرمل في الأشواط الثلاث الأول، والرمل: المشي بقوة ونشاط، مع السرعة ومقاربة الخطى، ويمشي أربعة أشواط، وينبغي مراعاة الحجاج والمعتمرين فلا يؤذون. وإن لم يتيسر للمعتمر الرمل في الأشواط الأولى الثلاثة لازدحام المكان؛ فإنه يمشي.

فإذا انتهى المعتمر من الطواف في الشوط السابع فإنه يخرج من الطواف بدون تكبير ولا استلام، بل متى وصل إلى الحجر الأسود في نهاية الشوط السابع فقد انتهى طوافه.

ثم يتوجه المعتمر إلى خلف مقام إبراهيم ويجعل المقام بينه وبين الكعبة ويصلي ركعتين خلف المقام، لفعل النبي ويسن له أن يقرأ إذا أقبل على المقام قول الله تعالى:«وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى»فإن تيسر له خلف المقام مكان يصلي فيه وإلا صلى في أي مكان من الحرم، وجاءت السنة بأنه يقرأ في الأولى:«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» والثانية: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» لأنهما سورتا الإخلاص..

-ثم يتوجه بعد الصلاة خلف المقام إلى الحجر الأسود ويستلمه وهو سنة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن تمكن منه فعله وإلا توجه إلى المسعى.

-فإذا وصل إلى المسعى يقرأ «إن الصفا والمروة من شعائر الله» وبدأ بالصفا لقول النبي صلى الله عليه وسلم - من حديث جابر بن عبد الله - لما قدم على الصفا - قال: «إن الصفا والمروة من شعائر الله» أبدأ بما بدأ الله به) رواه مسلم.

ثم يصعد المعتمر إلى الصفا، ولا يلزم منه الصعود إلى أعلى الصفا، ثم يستقبل البيت ويرفع يديه ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم يدعو طويلاً، يفعل ذلك ثلاث مرات. ثم ينزل من الصفا قاصداً المروة، فإذا مرّ بين العلمين «وهي الهرولة» ، ويمشي

Upload by: altawhedmag.com

فيما عداه، فإذا صعد المروة فعل كما فعل على الصفا، ويفعل ذلك سبعة أشواط، فإذا كان في الشوط السابع، ووصل إلى المروة فقد أتم المعتمر والحاج سعيه، ويبقى عليه الحلق أو التقصير، فإن كان الزمن بين العمرة والحج يسيراً استحب له أن يقصر من شعره، ويجعل الحلق عند التحلل من الحج. ثم يحل المعتمر من إحرامه ويبقى حتى يهل بالحج يوم التروية.

-أما من قدم إلى مكة قارناً أو مفردا، فإنه يطوف طواف القدوم، وإن شاء قدم معه سعي الحج، ويبقى على إحرامه حتى يتحلل من حجه- فإذا كان يوم التروية، وهو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة. فيحرم الحاج المتمتع ذلك اليوم من مكانه الذي هو نازل فيه، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أمروا أن يحرموا من البطحاء؛ وهو المكان الذي كانوا قد نزلوا فيه.

فيشتغل الحاج بالتكبير والتلبية، ويسن له أن يتوجه إلى منى ويبيت بمنى ليلة التاسع، وعلى هذا فيصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر كلها في منى، ويصلي الرباعية قصراً بلا جمع؛ قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه في سياق ذكره حجة الرسول صلى الله عليه وسلم: (فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلوا بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث بها قليلاً حتى طلعت الشمس... الحديث). والمبيت بمنى لَيَالِيَ أَيَّام التَّشْرِيق وَاجِبٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْفُقَهَاء، يَلْزَمُ الدَّمُ لِمَنْ تَرَكَهُ بِغَيْرِ عُذْرٍ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للعباس أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته)، والرخصة تدل على أن ما يقابلها عزيمة لا بد منه.

- فإذا أشرقت شمس اليوم التاسع من ذي الحجة سار الحاج قاصداً عرفة، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر أن تضرب له قبة بنمرة، وصلى بها الظهر والعصر جمع تقديم، بأذان وإقامتين، وقدم قبلهما خطبة. ثم بعد الزوال توجه النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً عرفة، ووقف بها، وكان فيما قاله صلى الله عليه وسلم: (وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف). وقال النبي: (الحج يوم عرفة، من جاء قبل صلاة الصبح من ليلة جمع فقد تم حجه) [أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

والوقوف بها ركن باتفاق أهل العلم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفعوا عن بطن عرنة، وهو موضع بجانب عرفة، وقد بُينت عرفة بعلامات من جميع الجهات، فمن دخل عرفة ولو لوقت قصير فقد أدرك عرفة، وأظهر الأقوال أنه يصح الوقوف بعرفة ليلاً أو نهارًا ولو قبل الزوال؛ لعموم حديث عروة بن مضرس قال: قال رسول الله: (من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهارًا، فقد أتم حجه وقضى تفثه) ولا شك أن عدم الاقتصار على أول النهار أحوط ومن نزل بعرنة ودفع منها ولم يدخل عرفة فحجه غير صحيح.

-ويسن التفرغ للدعاء والاجتهاد فيه، فإنه يوم عظيم، وفيه خير عظيم، والنبي صلى الله عليه وسلم ظل من بعد الزوال حتى غروب الشمس مستقبلاً القبلة يدعو ربه عز وجل. قال صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء) [أخرجه مسلم (١٣٤٨)]. وقال صلى الله عليه وسلم: (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له) [الترمذي ٣٥٨٥ وحسنه الألباني]. وقال صلى الله عليه وسلم: (ما رئي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام...الحديث) [أخرجه مالك (٩٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٦٩) وضعفه الألباني]. وليعلم أن صعود الجبل ليس مقصوداً لذاته، ثم إن اعتقد أن الدعاء لا يكون إلا على الجبل فهي بدعة.

-ثم إذا غربت شمس يوم عرفة قصد مزدلفة لأن النبي صلى الله عليه وسلم دفع قاصداً مزدلفة لأداء صلاتي المغرب والعشاء والمبيت بها،ولا يجوز الدفع قبل غروب الشمس، فمن انصرف من عرفة قبل غروب الشمس، وجب عليه الرجوع، فإن لم يرجع وجب عليه دم لتركه الواجب. فإذا وصل الحاج إلى مزدلفة بَدَأ بالصلاة، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: (دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله. فقال: الصلاة أمامك، فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما) [متفق عليه]. ويؤدي الحاج صلاتي المغرب والعشاء بمزدلفة جمعاً وقصراً.

-ثم يبيت الحاج بمزدلفة، وقال صلى الله عليه وسلم: (وكل المزدلفة موقف، وارتفعوا عن بطن محسر) [متفق عليه].

Upload by: altawhedmag.com

والسنة أن يبيت فيها إلى طلوع الفجر، فيصلي بها الفجر، ثم يقف بها ويدعو الله حتى يسفر جداً ثم يدفع منها إلى منى قبل طلوع الشمس.ويجوز للضعفة من النساء والصبيان ونحوهم ولمن يلي أمرهم أن يدفعوا من مزدلفة.

- فإذا أصبح الحاج في يوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم النحر، وأسفر جداً، دفع نحو منى، وإذا مر ببطن محسر، أسرع فيه. ويسن للحاج أن يأخذ حصى الجمار أثناء سيره إلى منى، فيأخذ سبع حصيات صغار، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على راحلته هات القط لي فلقطت له حصيات هن حصى الخذف فلما وضعتهن في يده قال: (بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) [النسائي (٣٠٥٧) وصححه الألباني].

فإذا وصل الحاج إلى منى توجه إلى جمرة العقبة قطع التلبية؛ ورمى جماره السبع ويكبر مع كل حصاة، فترمى كل حصاة في حوض الجمرة، ولا يضر لو خرجت الحصاة من الحوض بعد ذلك.

-ثم السنة أن ينحر الحاج هديه إن كان متمتعاً أو قارناً، وبيده إن أمكنه ذلك، ثم يحلق رأسه أو يقصر، وإن قصر فلا بد من تعميم الرأس كله، والمرأة تأخذ من كل ضفيرة قدر أنملة. فإذا رمى الحاج وحلق أو قصر، ونحر هديه، فقد تحلل التحلل الأول، فيحل له كل شيء إلا النساء. والتحلل الأول يحصل باثنين من ثلاثة: رمي جمرة العقبة، والحلق أو التقصير، وطواف الإفاضة مع السعي لمن عليه سعي الحج.

- ثم يتوجه الحاج بعد رمي الجمار ونحر الهدي والحلق أو التقصير، قاصداً البيت الحرام-وهي السنة- فيطوف طواف الإفاضة - وسعي الحج؛ فإن كان القارن والمفرد قد أديا سعي الحج مع طواف القدوم كفاهما، وإلا سعيا بعد طواف الإفاضة.

-والترتيب بين أفعال يوم النحر ليس بواجب، والسنة ما سبق بيانه، ولو قدم أو أخر الحاج بعضها على بعض فلا حرج عليه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته فطفق ناس يسألونه فيقول القائل منهم يا رسول الله إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فارم ولا حرج) قال: وطفق آخر يقول إني لم أشعر أن النحر قبل الحلق فحلقت قبل أن أنحر فيقول: (انحر ولا حرج) قال فما سمعته يسأل يومئذ عن أمر مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها إلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (افعلوا ذلك ولا حرج) [متفق عليه].

- وبعد أن يؤدي الحاج طواف الإفاضة، يعود إلى منى ليبيت بها ثلاث ليال، وهي أيام التشريق، ليلة الحادي عشر، وليلة الثاني عشر، وليلة الثالث عشر. فيصلي الصلوات بمنى بقصر الرباعية دون جمعها.فإذا زالت الشمس من كل يوم من أيام التشريق، بدأ رمي الجمرات الثلاث، ويرمي كل واحدة بسبع حصيات، يبدأ بالجمرة الصغرى فيرميها بسبع حصيات ويكبر مع كل حصاة، ثم يبتعد عنها قليلاً، ويستقبل الكعبة ويدعو طويلاً، ويسأل الله من خيري الدنيا والآخرة. ويفعل ذلك كذلك في الجمرة الوسطى، وأما الجمرة الكبرى؛ جمرة العقبة، فإنه لا يقف للدعاء بعدها، وتلك هي السنة.

-وللحاج الرمي إلى الليل، فإن لم يتيسر له الرمي نهاراً بسبب الزحام، فلا حرج عليه أن يرمي في الليل، وللمريض والكبير، والمرأة الإنابة في رمي الجمرات إن خافوا على أنفسهم، ويرمي النائب عن نفسه وعن من أنابه عند كل جمرة ولا يلزمه أن يعود من جديد لكي يرمي عن من أنابه؛ إلا أن يكون ذلك الحج فرضه الذي عليه، فلا بد أن يرمي عن نفسه أولاً ثم يرمي عن موكله.

ويجوز للحاج بعد رمي الجمرات الثلاث من يوم الثاني عشر أن يتعجل، ويخرج من منى قبل غروب الشمس، وإن شاء تأخر وبات بها، ورمي جمرات يوم الثالث عشر وهو أفضل لفعل النبي صلى الله عليه وسلم. ومن غربت عليه شمس اليوم الثاني عشر ولم يخرج من منى، لزمه المبيت ورمي جمرات اليوم الثالث عشر؛ ومن ارتحل يوم الثاني عشر بعد رمي الجمرات الثلاث، وحبسه الزحام عن الخروج من منى، فقد أدى ما عليه، ولا يلزمه المبيت لليوم الثالث عشر.

- فإذا انصرف الحاج من منى متعجلاً أو متريثاً، وأراد الرجوع إلى أهله، قصد البيت الحرام وطاف طواف الوداع، سبعة أشواط، ولا يبقى بعدها بمكة إلا مقدار ما يحمل متاعه، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان الناس ينصرفون في كل وجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت) [صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٩١].

نسأل الله أن يتقبل من الحجيج حجهم، وأن يرزقنا حج بيته الحرام؛ إنه نعم المولى ونعم النصير.

Upload by: altawhedmag.com

فتاوى الحج



اللجنة الدائمة والشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

من أحكام الحائض والنفساء في الحج

س١: المرأة النفساء إذا بدأ نفاسها يوم التروية، وأكملت أركان الحج عدا الطواف والسعي، إلا أنها لاحظت أنها طهرت مبدئيا بعد عشرة أيام، فهل تتطهر وتغتسل وتؤدي الركن الباقي الذي هو طواف الحج؟

ج١: نعم إذا نفست في اليوم الثامن مثلاً فلها أن تحج وتقف مع الناس في عرفات ومزدلفة، ولها أن تعمل ما يعمل الناس من رمي الجمار والتقصير ونحر الهدي وغير ذلك، ويبقى عليها الطواف والسعي تؤجلهما حتى تطهر، فإذا طهرت بعد عشرة أيام أو أكثر أو أقل، اغتسلت وصلت وصامت وطافت وسعت، وليس لأقل النفاس حد محدود، فقد تطهر في عشرة أيام أو أقل من ذلك أو أكثر، لكن نهايته أربعون.

فإذا أتمت الأربعين ولم ينقطع الدم فإنها تعتبر نفسها في حكم الطاهرات تغتسل وتصلي وتصوم، وتعتبر الدم الذي بقي معها - على الصحيح - دم فساد تصلي معه وتصوم وتحل لزوجها، لكنها تجتهد في التحفظ من الدم بقطن ونحوه وتتوضأ لوقت كل صلاة، ولا بأس أن تجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم حمنة بذلك. (سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز).

س٢: هل يجوز للحائض قراءة كتب الأدعية يوم عرفة مع أن بها آيات قرآنية؟

ج٢: لا حرج أن تقرأ الحائض والنفساء الأدعية المكتوبة في مناسك الحج، ولا بأس أن تقرأ القرآن على الصحيح أيضا ؛ لأنه لم يرد نص صحيح صريح يمنع الحائض والنفساء من قراءة القرآن، إنما ورد في الجنب خاصة بأن لا يقرأ القرآن وهو جنب؛ لحديث علي رضي الله عنه وأرضاه، أما الحائض والنفساء فورد فيهما حديث ابن عمر: «لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن» ولكنه ضعيف ؛ لأن الحديث من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين وهو ضعيف في روايته عنهم، ولكنها تقرأ بدون مس المصحف ، عن ظهر قلب.

أما الجنب فلا يجوز له أن يقرأ القرآن لا عن ظهر قلب ولا من المصحف حتى يغتسل، والفرق بينهما: أن الجنب وقته يسير وفي إمكانه أن يغتسل في الحال من حين يفرغ من إتيانه أهله فمدته لا تطول، والأمر في يده متى شاء اغتسل، وإن عجز عن الماء تيمم وصلى وقرأ، أما الحائض والنفساء فليس الأمر بيدهما، وإنما هو بيد الله عز وجل، فمتى طهرت من حيضها أو نفاسها اغتسلت، والحيض يحتاج إلى أيام، والنفاس كذلك، ولهذا أبيح لهما قراءة القرآن لئلا تنسيانه ولئلا يفوتهما فضل القراءة وتعلم الأحكام الشرعية من كتاب الله، فمن باب أولى أن تقرأ الكتب التي فيها الأدعية المخلوطة من الأحاديث والآيات إلى غير ذلك، هذا هو الصواب، وهو أصح قولي العلماء رحمهم الله في ذلك. (سماحة الشيخ



Upload by: altawhedmag.com

عبدالعزيز بن باز).

س٣: ماذا تفعل المرأة المحرمة إذا سقط من رأسها شعر رغماً عنها؟

ج٣: إذا سقط من رأس المحرم ذكراً كان أو أنثى - شعرات عند مسحه في الوضوء أو عند غسله لم يضره ذلك، وهكذا لو سقط من لحية الرجل أو من شاربه أو من أظافره شيء لا يضره؛ إذا لم يتعمد ذلك، إنما المحظور أن يتعمد قطع شيء من شعره وأظافره وهو محرم، وهكذا المرأة لا تتعمد قطع شيء، أما ما يسقط من غير تعمد فهذه شعرات ميتة تسقط عند الحركة فلا يضر سقوطها. (سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز).

س٤: هل من المباح للمرأة أن تأخذ حبوباً تؤجل بها الدورة الشهرية حتى تؤدي فريضة الحج، وهل لها مخرج آخر؟

ج٤: لا حرج أن تأخذ المرأة حبوب منع الحمل؛ لتمنع الدورة الشهرية أيام رمضان حتى تصوم مع الناس، وفي أيام الحج حتى تطوف مع الناس، ولا تتعطل عن أعمال الحج وإن وُجد غير الحبوب شيء يمنع من الدورة، فلا بأس إذا لم يكن فيه محذور شرعاً أو مضرة. (سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز).

حكم الحج بالمال الحرام

س٥: ما رأي الدين فيمن حج بغير ماله؟

ج٥: إذا حج الشخص بمال من غيره صدقةً من ذلك الغير عليه، فلا شيء في حجه، أما إذا كان المال حراماً فحجه صحيح وعليه التوبة من ذلك. (اللجنة الدائمة للإفتاء: ٣١٩٨ في ١-٩-١٤٠٠هـ).

حكم الحج عن المريض والميت

س٦: نفيد فضيلتكم أنه يوجد لدى أخ لزوجتي وهو يبلغ من العمر ٨٠ عاماً وهو مصاب بمرض الشلل في جنبه الأيمن وهو مصاب به من صغره، فهو لا يستطيع المشي مع الأصحاء، وليس لديه دخل إلا من الضمان الاجتماعي وهو يريد قضاء فريضة الحج علماً أنه لا يستطيع أن يركب السيارة، فهل يجوز له أن يدفع أجراً على حجته كما يفعل الغير وما نفعل؟ نرجو إفادتنا عن ذلك؟

ج٦: إذا كان الواقع كما ذكرت من مرض أخي زوجتك وتوفر مال لديه مما يعطاه من الضمان الاجتماعي، ومما يأخذه من الصدقات أو المعونات الأخرى ما يكفي أن ينيب من يحج عنه ويعتمر ؛ لعجزه عن مباشرة حج الفريضة والعمرة بنفسه فينيب غيره عنه بماله. (اللجنة الدائمة للإفتاء: ٢٥٦٤ في ٢١-٨-١٣٩٩هـ)

س٧: هل يجوز الحج بالنيابة عن المتوفى والحي؟ فإن صديقاً لي توفى أبوه فأراد أن يحج عنه بالنيابة، فهل يجوز ذلك ويكون لهما أجر، وكذلك عن أمه التي لا تستطيع أن تركب لا في السيارة ولا في الطائرة وليست بمريضة، فهل يجوز له أن يحج فيكون حاجاً فيها عن أبيه وأمه وعن نفسه أم يحج عن كل منهم حجة؟ أم لا يجوز له ذلك أعني أن يحج عنهم؟

ج٧: تجوز النيابة في الحج عن الميت وعن الموجود الذي لا يستطيع الحج، ولا يجوز للشخص أن يحج مرة واحدة ويجعلها لشخصين، فالحج لا يجزئ إلا عن واحد، وكذا العمرة، لكن لو حج عن شخص واعتمر عن آخر في سنة واحدة أجزأه. (اللجنة الدائمة الإفتاء: ٢٦٥٨: في ١٨-١٠-١٣٩٩هـ).

س٨: هل يجوز لابنة أن تحج عن أمها؛ لأن أمها مصابة بمرض لا تستطيع الحج معه، وهذا المرض في جنبها الأيمن من اليد إلى الرجل، يسمى المرض العصبي وهي طاعنة في السن أيضاً؟



ج٨: يجوز لهذه البنت أن تحج عن أمها؛ لأنها لا تستطيع الحج بسبب المرض المشار إليه في السؤال. (٢٦٩٣ في ١٢-١١-١٣٩٩هـ).

أعمال لا تجوز في الحج

س٩: يوجد بجبل

Upload by: altawhedmag.com

الرحمة بعرفات ثلاثة مساجد بمحاريبها متجاورة غير مسقوفة يؤمها الحجاج للتمسح بمحاريبها وجدرانها، ويضعون أحياناً النقود ببعض محاريبها كما أنهم يصلون في كل منها ركعتين وبعضها يكون في وقت النهي ويحصل ازدحام الرجال والنساء بها، وجميع هذه الأفعال تحدث من الحجاج، نرجو من سماحتكم إفتاءنا بالحكم الشرعي فيما ذكر. جزاكم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

ج٩: أولاً: عرفات كلها من شعائر الحج التي أمر الله تعالى أن يؤدى فيها منسك من مناسكه هو الوقوف بها في اليوم التاسع من ذي الحجة وليلة عيد الأضحى، وليست مساكن للناس فلا حاجة إلى بناء مسجد أو مساجد بها أو بجبلها المعروف عند الناس بجبل الرحمة لإقامة الصلوات بها، وإنما بها مسجد نمرة بالمكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر في حجة الوداع ليتخذه الحجاج مصلى لهم يوم وقوفهم بعرفات يصلي به من استطاع صلاة الظهر والعصر ذلك اليوم، وكذا لم يعرف من السلف بناء مساجد فيما اشتهر بين الناس بجبل الرحمة، فبناء مسجد أو مساجد عليه بدعة، وصلاة ركعتين أو أكثر في كل منها بدعة أخرى، ووقوع الركعتين أو الأكثر في وقت النهي بدعة ثالثة.

ثانياً: توجه الناس إلى هذه المساجد وتمسحهم بجدرانها ومحاريبها والتبرك بها بدعة، ونوع من أنواع الشرك شبيه بعمل الكفار في الجاهلية الأولى بأصنامهم، فيجب على المسئولين الأمر بإزالة هذه المساجد والقضاء عليها سداً لباب الشر ومنعاً للفتنة حتى لا يجد الحجاج ما يدعوهم إلى الذهاب إلى الجبل والصعود عليه للتبرك به والصلاة فيه. (اللجنة الدائمة للإفتاء: ٣٠١٩ في ١٥-٦-١٤٠٠هـ).

حكم العمرة في الحج

س١٠: من أهلَّ بالحج مفرداً هل حجه تام؟ وهل عليه عمرة؟

ج١٠: نعم حجه تام إذا أتى بما شُرع له فيه، من فرائضه وواجباته وسننه، واجتنب ما نهاه الله عنه من الرفث والفسوق والجدال في الحج، وليس عليه عمرة إذا كان قد اعتمر عمرة الإسلام قبل ذلك، وإلا وجب عليه أن يعتمر عمرة الإسلام. (اللجنة الدائمة للإفتاء: ٢٨٩٦ في ١٢-٢-١٤٠٠هـ).

س١١: من اعتمر في أشهر الحج وهو ناو للحج، ثم سافر خارج مواقيت مكة، فهل تجزئه عمرته هذه إن عاد فحج من عامه؟

ج١١: نعم تجزئه هذه العمرة عن العمرة الواجبة عليه شرعاً إن لم يكن اعتمر قبل، وإلا فهي تطوع. (اللجنة الدائمة للإفتاء: ٢٨٩٦ في ١٢-٣-١٤٠٠هـ).

كشف المرأة وجهها في الإحرام

س١٢: اعتمر رجل ومعه زوجته وأحرمت الزوجة بأن كشفت الحجاب عن وجهها، وعندما دخل الحرم رفض جندي داخل الحرم إلا أن تغطي وجهها فغطته، فهل عليها في ذلك شيء؟ وهل تعيد العمرة؟ وما رأي الشيخ - رحمه الله - في كشف الوجه في الإحرام للمرأة؟

ج١٢: تكشف المرأة وجهها وهي في نسك الحج أو العمرة، إلا إذا مر بها أجانب أو كانت في جمع فيه أجانب وخشيت أن يروا وجهها، فعليها أن تسدل خمارها على وجهها حتى لا يراه أحد منهم؛ لقول عائشة رضي الله عنها: (كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه) (رواه أبو داود). وقد يكون الجندي أمرها بستر وجهها عند دخول الحرم من أجل من فيه من الرجال الأجانب عنها. (اللجنة الدائمة للإفتاء: ٣١١٤ في ٢١-٧-١٤٠٠هـ).



Upload by: altawhedmag.com

مسابقة فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين (رحمه الله)

يسر جماعة أنصار السنة المحمدية- فرع بلبيس- أن تعلن عن الحلقة العاشرة من مسابقة الشيخ محمد صفوت نور الدين- رحمه الله- في القران والسنة والعقيدة

مستويات المسابقة

المستوى الأول:

١- حفظ عشرين جزءًا من أول القرآن الكريم إلى قوله تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب» مع التجويد.

٢- تفسير ربعين من أول سورة العنكبوت إلى قوله تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب» من كتب (القرطبي وابن كثير والسعدي).

٣- حفظ مائة حديث من التجريد الصريح من (٩٠١، ١٠٠٠) مع شرح أول عشرين حديثًا منها من فتح الباري لابن حجر.

٤- حفظ خمسين سؤالاً من كتاب ٢٠٠ سؤال في العقيدة للشيخ حافظ الحكمي من (١٠١، ١٥٠).

٥- الاستماع إلى شريط (نظرات في فهم النصوص الشرعية) للشيخ صفوت نور الدين.

المستوى الثاني:

١- حفظ عشرة أجزاء من قوله تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب» إلى آخر القرآن الكريم مع التجويد.

٢- تفسير ربع من أول سورة الروم من كتب [القرطبي وابن كثير والسعدي

٣- حفظ خمسين حديثًا من مختصر صحيح مسلم للمنذري من (٤٥١- ٥٠٠) مع شرح أول عشرة منها من شرح مسلم للنووي

٤- حفظ ٢٥ سؤالاً من (١٥١- ١٧٥) من كتاب ٢٠٠ سؤال في العقيدة للشيخ حافظ الحكمي.

٥- الاستماع إلى شريط (من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا) للشيخ صفوت نور الدين.

المستوى الثالث:

١- حفظ ستة عشر جزءًا من أول سورة الإسراء إلى آخر القرآن الكريم مع التجويد.

٢- حفظ خمسين حديثا من رياض الصالحين من (٣٠١- ٣٥٠).

٣- حفظ كتاب (الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة) للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

موعد المسابقة:

سيكون امتحان جميع المستويات بإذن الله تعالى يوم السبت الثالث من المحرم سنة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠١٢/١١/١٧م. ويبدأ الامتحان الساعة الثامنة صباحًا بمجمع التوحيد ببلبيس.

الشروط

١- ألا يزيد عمر المتسابق في المستوى الأول عن ٤٠ عامًا، والثاني عن ٣٠ عامًا، والثالث عن ٢٠ عامًا.

٢- يدفع المتسابق في المستوى الأول ٢٠ جنيهًا، والثاني ١٥ جنيهًا، والثالث ١٠ جنيهات كمصاريف إدارية للمسابقة ولا تدخل في الجوائز.

٣- يتم الامتحان في جميع المواد تحريريًا للمستوى الأول والثاني ما عدا القرآن الكريم، وأما المستوى الثالث فيكون شفويًا في جميع المواد.

٤- يتم التسجيل ودفع الاشتراكات بالمركز العام ــ الدور السابع ــ مجلة التوحيد، أو بمجمع التوحيد ببلبيس على أن يكون آخر موعد للتسجيل ودفع الاشتراكات يوم الجمعة الثالث من ذي الحجة ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢/١٠/١٩م ولن تقبل أي أسماء بعد هذا الموعد، وسيتم تسليم نسخة من مقررات المسابقة لكل من يسجل على حسب مستواه.

٥- يتم إعلان النتيجة وتوزيع الجوائز في حفل كبير يُقام يوم الثلاثاء ٢٠ محرم ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٢/١٢/٤ م بعد صلاة العصر بمسجد التوحيد ببلبيس.

٦- جوائز المسابقة قيمة، وجائزة الفائز الأول في المستوى الأول عمرة إلى بيت الله الحرام. والله الموفق.

Upload by: altawhedmag.com

واحة التوحيد

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الإصلاح بين الناس

عن أبي الدّرداء- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصّيام والصّلاة والصّدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة» [الترمذي وصححه الألباني].

من نور كتاب الله

المصلح : من يبدأ بنفسه

قال تعالي في ثواب المصلحين « وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ » [الأعراف: ١٧٠]

من أقوال السلف

عن حسان بن عطية قال: «كان جبريل صلى الله عليه وسلم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل بالقرآن عليه، يعلّمه إياها كما يعلمه القرآن» [السنة للالكائي].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه كان يدعو: اللهم لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهرني بالبرد والثلج والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب ونقني كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. [صحيح الأدب المفرد للألباني].

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

قال ابن تيمية: «اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء. وأقواها المحبة. فالخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق. والمحبة على قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه. والرجاء يقوده. فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له». [مجموع الفتاوى].

Upload by: altawhedmag.com

إعداد: علاء خضر

من دلائل النبوة

حنين الجذع وسماع صوته

عن جابر رضي الله عنه قال: «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلمّا صُنع له المنبر فكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتّى جاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فوضع يده عليها، فسكنت»

[صحيح البخاري]

من فضائل الصحابة

عن أبي إدريس الخولاني قال: لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن حمص ولى معاوية فقال الناس: عزل عميرا وولى معاوية، فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم اهد به».

[سنن الترمذي وصححه الألباني].

حكم ومواعظ

عن الحسن أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز: « أما بعد، فإن الدنيا مشغلة للقلب والبدن، وإن الزهد راحة للقلب والبدن، وإن الله سائلنا عن الذي نعمنا في حلاله، فكيف بما نعمنا في حرامه»؟

[الزهد للبيهقي]

من غريب الحديث

(فرص) قال أبو عبيد: في حديثه عليه السلام حين قال للأنصارية يصف لها الاغتسال من المحيض: خذي «فرصة» ممسكة فتطهري بها، فقالت عائشة رضي الله عنها: يعني تتبعي بها أثر الدم. قال الأصمعي: الفرصة القطعة من الصوف أو القطن أو غيره.

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

من زار قبر والديه كل جمعة، فقرأ عندهما أو عنده «يس» غفر له بعدد كل آية أو حرف» . «باطل» المشروع عند زيارة القبور إنما هو السلام عليهم، وتذكر الآخرة فقط، وعلى ذلك جرى عمل السلف الصالح رضي الله عنهم وليس قراءة القرآن عند القبور. [السلسلة الضعيفة للألباني]

Upload by: altawhedmag.com

ملف العدد : الحج

أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في الحج مع أهله

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله يهدي إلى الطيب من القول ويهدي إلى صراط الحميد، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أدبَّه ربه فأحسن تأديبه صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أرعى الخلق لقريب، وأحناهم على رحم، وأكثرهم إحسانًا إلى أهل، شهد المخالطون له صلى الله عليه وسلم بذلك، فوصفه واصفهم بأنه صلى الله عليه وسلم كان أبر الناس، وأوصل الناس. [مسلم: ١٠٧٢].

وقد كان من أعظم ما وصل به صلى الله عليه وسلم أهله، وبر أقاربه به: دعوته إياهم إلى الخير، وحرصه على هدايتهم ونجاتهم من النار، ومن ذلك: وقوفه صلى الله عليه وسلم بمكة على الصفا - ينذرهم مغبة الشرك - قائلًا: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ».

وقوله لعمه أبي طالب لما حضرته الوفاة: «أَيْ عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». [صحيح البخاري: رقم ٣٨٨٤].

وفي الحج تجلى برّه صلى الله عليه وسلم بأهله، وصلته لرحمه، وإحسانه إلى أقاربه في صور شتى ومشاهد مختلفة، ولعل من أبرز أحواله صلى الله عليه وسلم ما يلي:

أولًا: تعليمهم أحكام النسك:

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم أهل بيته أحكام النسك؛ ليصفو لهم تقربهم، وتصح منهم عبادتهم، ومن دلائل ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: «افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ» [صحيح مسلم ١٢١١].

وقوله صلى الله عليه وسلم لأُغيلمة بني عبد المطلب ليلة مزدلفة: «لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس». [صحيح سنن الترمذي رقم: ٧٠٩].

ولم يكن يكتفي في تفقيههم بمجرد التوجيه المباشر لهم، بل كان صلى الله عليه وسلم يحاورهم، ويجيب عن أسئلتهم، كما يدل عليه

Upload by: altawhedmag.com

حديث حفصة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يَحْلِلْنَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: فَمَا يَمْنَعُكَ؟ فَقَالَ: لَبَّدْتُ رَأْسِي، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي، فَلَسْتُ أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ هَدْيِي». [البخاري: ٤٣٩٨].

وفي وقتنا نرى أن هذا الأمر عزيز، إلا من رحم ربي، من القلة النادرة من الناس من يهتمون بتعليم أهاليهم الأحكام قبل فعلها، ويفهمونهم بحكم النسك ومقاصده، ويجيبون عن استفساراتهم، فكن أخي الحبيب من هذا الصنف الفاضل، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي». [صحيح رقم: ٣٠٥٧].

وقم بالأمر على وجهه، فإنك مؤتمن على أهلك، وراع لهم، وكل راع مسئول بين يدي مولاه عما استرعاه، قال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». [صحيح الجامع: ٤٥٦٩].

ولك أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بنذارة أهله وتعليمهم قبل الناس، امتثالاً لأمر ربه عز وجل في قوله: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [الشعراء: ٢١٤].

ثانيًا: إشغالهم بأمر النسك قبل الخروج له:

أشغل النبي صلى الله عليه وسلم أهله النسك قبل خروجه إلى الموسم، ومن دلائل ذلك: قول عائشة رضي الله عنها: «فَتَلْتُ لِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَعْنِي: الْقَلَائِدَ - قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ». [صحيح البخاري: ١٧٠٤]، فما أحرى بك أن تهتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فتشغل نفسك وأهل بيتك بأمر النسك وتعلق قلبك وقلوبهم به، قبل السفر إلى مواضعه.

ثالثًا: الحرص على براءة ذممهم:

أوجب الله تعالى حج بيته الحرام على القادرين فقال سبحانه: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» [آل عمران: ٩٧]. ولذا فلا تزال ذمة المستطيع مشغولة به، ولا تبرأ إلا بأدائه، ومن تأمل في سيرته صلى الله عليه وسلم في الحج شاهد بجلاء حرصه صلى الله عليه وسلم على براءة ذمم أهل بيته، ومن أدلة ذلك: اصطحابه صلى الله عليه وسلم في خروجه للحج جميع زوجاته التسع رضي الله عنهن. [صحيح سنن أبي داود رقم: ١٥١٥، وزاد المعاد لابن القيم: ١٠٦/٢].

ومنها: خروجه صلى الله عليه وسلم بضعفة أهله معه. [صحيح البخاري: ١٦٧٨، ١٦٨٠، وصحيح مسلم: ١٢٩٣].

ومنها: تحريضه صلى الله عليه وسلم لآل بيته حتى المريض منهم على المسارعة بأداء النسك، ومن ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم دخل على ابنة عمه: ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنها وهي عليلة، فقال لها: «مَا يَمْنَعُكِ يَا عَمَّتَاهُ مِنَ الْحَجِّ؟ فَقَالَتْ: أَنَا امْرَأَةٌ سَقِيمَةٌ، وَأَنَا أَخَافُ الْحَبْسَ، قَالَ: فَأَحْرِمِي وَاشْتَرِطِي أَنَّ مَحِلَّكِ حَيْثُ حُبِسْتِ». [صحيح البخاري: رقم ٥٠٨٩].

رابعًا: تشجيعهم على الخير:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث آل بيته رضي الله عنهم على فعل الطاعات، ويشجعهم على التزود من الخيرات، ومن ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم حين مرَّ على بني عمومته، وهم ينزعون الماء من زمزم ويسقون الناس، خاطبهم قائلاً:

«انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ». [صحيح مسلم رقم: ١٢١٨].

والمقصود: أنَّ الناس سيتأسون به صلى الله عليه وسلم في القيام بالسقاية فيزاحمونهم فيها.

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم: «اعملوا، فإنكم على عمل صالح، لولا أن تُغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه - يعني عاتقه-». [صحيح البخاري رقم: ١٦٣٦].

بل إنه صلى الله عليه وسلم كان ييسر لهم ذلك، ومنه: إذنه لعمه العباس رضي الله عنه أن يبيت بمكة ليالي أيام التشريق من أجل سقايته الحجيج. [صحيح البخاري: ١٧٤٥].

فإن أردت أن تتضاعف حسناتك، وتثقل موازينك بأعمال غيرك، وأن تحسن إلى الحجيج، وتربي أهل بيتك على القربات، فدُلّهم على الخير، ويسّره عليهم، وشجّعهم على الإحسان إلى المحتاجين، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا». [صحيح مسلم رقم: ٢٦٧٤].

خامسًا: الاستعانة بالله ثم بهم:

استعان النبي صلى الله عليه وسلم بآل بيته رضي

Upload by: altawhedmag.com

الله عنهم في بعض أموره، ومن ذلك: جعله صلى الله عليه وسلم زوجه عائشة تفتل له قلائد بُدنه من صوف – كان عندها بالمدينة – قبل أن يحرم. [صحيح البخاري رقم ١٦٩٦، ١٧٠٤، ١٧٠٥].

ومنها: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ: الْقُطْ لِي حَصًى فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ. [صحيح سنن ابن ماجه رقم: ٢٤٥٥].

ومنها إعطاؤه صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ما بقي من بُدْنِه لينحرها. [صحيح ابن ماجه: ٢٤٩٤].

ومنها: أمره صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه بأن يقوم على بُدْنِه، وبأن يتصدق على الناس بلحومها وجلودها وأجلتها. [صحيح البخاري: ١٧١٨، ٢٢٩٩].

ومنها: استسقاؤه صلى الله عليه وسلم من بني عمِّه حين جاء إليهم وهم يسقون الناس من زمزم، فقال لعمه العباس رضي الله عنه: «اسقني فشرب». [صحيح البخاري: ١٦٣٥].

فيا من ينشد المعين البعيد فهلاً القريب.. هذا هدي نبيك صلى الله عليه وسلم.

سادسًا: وقايتهم من الفتن:

ومنها: ليُّه صلى الله عليه وسلم لعنق الفضل بن العباس رضي الله عنهما حين أخذ ينظر إلى الفتاة الخثعمية، عن علي رضي الله عنه قال: «قال العباس: يا رسول الله، لِمَ لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابًا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما». [صحيح سنن الترمذي: ٧٠٢].

ومنها: توجيهه صلى الله عليه وسلم لنسائه بعدم مخالطة الرجال في الطواف، مع أنهن رضي الله عنهن كن يطفن معهم: قوله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة رضي الله عنها حين اشتكت إليه أنها شاكية، قال صلى الله عليه وسلم: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة». [صحيح البخاري: ١٦١٩].

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لها: «إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك، والناس يصلون، ففعلت، ولم تصل حتى خرجت». صحيح البخاري رقم (١٦٢٦).

سابعًا: الرفق بهم والتيسير عليهم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم في الحج رفيقًا بآل بيته، رحيمًا بهم، يعطف على ضعيفهم، ويختار الأيسر لهم.

منها: اختيار صلى الله عليه وسلم الأيسر لزوجاته، وأمرهن به. لحديث حفصة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يَحْلِلْنَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ». [صحيح البخاري: ٤٣٩٨].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لما دخل على ضباعة بنت الزبير وهي وجعة: «حُجِّي وَاشْتَرِطِي وَقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي». [صحيح البخاري: ٥٠٨٩].

ومنها: إذنه صلى الله عليه وسلم لعمِّه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن يبيت بمكة ليالي منها، من أجل سقايته. [صحيح البخاري: ١٦٣٤].

ثامنًا: الصبر عليهم:

إثبات صبره صلى الله عليه وسلم في الحج على آل بيته رضي الله عنهم لا يحتاج إلى دليل؛ إذ كان صلى الله عليه وسلم معلمًا لهم وقائمًا بشئونهم في وقت واحد، وكان في أهله من كبر سنه كزوجه سودة، والمريض الشاكي كضباعة وأم سلمة، وكثير من النساء كابنته فاطمة وجميع زوجاته، وغلمان بني عبد المطلب وبني هاشم، فما رُئي صبر كصبره، ولا مَن هو أكثر احتمالاً لأهله منه صلى الله عليه وسلم، إذ وجَّه وأرشد، ورحم ورفق، وأحسن وأنفق، وراعى وواسى، وفاكه ولاطف، وصان الحقوق، وشجَّع على الخير، ودبَّر شأنهم أحسن تدبير، وقام بالأمر خير قيام، كل ذلك بنفس منبسطة وصدر منشرح، ودون أن يُسمع منه صلى الله عليه وسلم لفظ ناب، أو يصدر منه مَنّ أو أذى.

فيا لله.. تلك الشمائل المحمدية، والأخلاق القرآنية، فالصبر على الأهل مهمة شاقة، وعمل جليل لا يطيقه إلا الكبار، ولا يحتمله إلا الرجال، وبخاصة في موسم الحج الذي يزداد فيه العدد وتعظم المشقة وتشتد.

تاسعًا: رعايتهم ومواساتهم:

كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يراعي خواطر أهله، فيفعل ما يريدون إذا كان الأمر لا يعارض شرع الله تعالى، ويواسي أقاربه حين كان الأمر يقع على خلاف ما يشتهون، وأبرز ما كان هذا الأمر في الحج: مع زوجه عائشة رضي الله

Upload by: altawhedmag.com

عنها، وذلك حين دخل عليها وهي تبكي؛ لأنها مُنعت العمرة المفردة بسبب الحيض، فواساها صلى الله عليه وسلم وطيب خاطرها قائلاً لها: «فلا يضرك، أنت من بنات آدم، كتب الله عليك ما كتب عليهن، فكوني في حجك عسى الله أن يرزقكها». [صحيح البخاري: ١٧٨٨، وصحيح مسلم: ١٢١١].

وحين قالت رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَرْجِعُ صَوَاحِبِي بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَأَرْجِعُ أَنَا بِالْحَجِّ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَذَهَبَ بِهَا إِلَى التَّنْعِيمِ فَلَبَّتْ بِالْعُمْرَةِ». [صحيح البخاري: ١٥٦١، وصحيح مسلم: ١٢١١].

فمن يا ترى يفعل اليوم بأهله في الحج كفعله صلى الله عليه وسلم؟

عاشرًا: التلطف معهم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم في الحج جميل العشرة، حسن المنطق، يتودد إلى أهله، ويتلطف معهم، ويباسط صبيانهم ويداعبهم، يقول جابر رضي الله عنه واصفًا إياه حين أهلَّ صلى الله عليه وسلم بحج، وأهلت عائشة رضي الله عنها بعمرة: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً سَهْلاً إِذَا هَوِيَتْ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ». [صحيح مسلم: ١٢١٣].

منها: قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها، حين حاضت فدخل عليها وهي تبكي: «مَا يُبْكِيكِ يَا هَنْتَاهُ؟» [صحيح البخاري رقم ١٥٦٠]. [معنى: [يا هنتاه: يا هذه].

فإلى الله المشتكى من قوم هجروا في التعامل مع أهاليهم هذا الخلق النبوي الكريم، حتى صار أهالي كثير منهم لا يعرفون منهم في موسم الحج أو العمرة غير المشاحنة وسوء العشرة والتحقير والسخرية، والمن والإساءة، والتضجر والشكوى، والغلظة والفظاظة، بل قد يصل الأمر في أحيان إلى حد السب والشتم، بل ربما يصل الأمر إلى الضرب والقذف.

يرحم الله ابن عمر رضي الله عنهما: «كان له فسطاطان: أحدهما في طرف الحرم، والآخر في طرف الحل، فإذا أراد أن يعاقب أهله أو غلامه فعل ذلك في الفسطاط الذي ليس في الحرم، يرى أن مثل ذلك يدخل في الإلحاد فيه بظلم»؛ لقوله تعالى: «وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» [الحج: ٢٥]، فكيف بمن يريدُ ويفعل؟

الحادي عشر: الإحسان إليهم:

تعددت وجوه إحسانه صلى الله عليه وسلم إلى آل بيته وتنوعت بصورة جعلت المتأمل يجزم بأن كل أحواله صلى الله عليه وسلم معهم إحسان؛ إذ ما من جانب إلا وأنت راءٍ بأنَّ فضله صلى الله عليه وسلم عليهم ظاهر.

منها: كما في قصة ضباعة رضي الله عنها حين دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: «أَرَدْتِ الْحَجَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ لاَ أَجِدُنِي إِلاَّ وَجِعَةً، فَقَالَ لَهَا: حُجِّي وَاشْتَرِطِي، وَقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي». [صحيح البخاري: ٥٠٨٩، وصحيح مسلم: ١٢٠٧].

ومنها: إردافه لابن عمِّه الفضل رضي الله عنهما من مزدلفة إلى منى. [صحيح البخاري: ١٥٤٤ي].

ومنها: هديه صلى الله عليه وسلم عن نسائه رضي الله عنهن إذ ذبح البقر عنهن من غير أمرهن. [صحيح البخاري ١٧٠٩].

فانهج أخي هذا النهج مع أهلك، فهم أحق بإحسانك الديني والدنيوي تحظ بالأجر الجزيل وتبصر بركات ذلك عاجلاً وآجلاً.

الثاني عشر: حماية حقوقهم:

صان النبي صلى الله عليه وسلم حقوق آل بيته رضي الله عنهم، وحرص على حفظها، وعدم تعدي الآخرين عليها، وأبرز ما يتجلى ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت، ويجعل يستلم الحجر بمحجنه، ثم أتى السقاية بعدما فرغ، وبنو عمِّه ينزعون منها، فقال: ناولوني، فرُفع له الدلو فشرب، ثم قال: لولا أنَّ الناس يتخذونه نسكًا، ويغلبونكم عليه لنزعت معكم». [صحيح البخاري رقم: ١٦٣٦].

هذه بعض جوانب أحواله صلى الله عليه وسلم في الحج مع أهل بيته، ونحن مأمورون بالتاسي به صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » [الأحزاب: ٢١].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبسنة سيد المرسلين، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد.

Upload by: altawhedmag.com

[redacted]

ملف العدد : الحج

تذكير وتنبيهات لمسائل في الحج والعمرة والزيارات

إعداد/ محمد بن ناصر العريني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.. أما بعدُ:

الحج في كتاب الله العزيز

قال الله تعالى: «وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» [الحج: ٢٧- ٢٩].

الحج في سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من حج لله ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». [البخاري: ١٥٢١، ومسلم: ١٣٥٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام». [البخاري: ٨، ومسلم: ١٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا. فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ. [مسلم: ١٣٣٧].

حكم الحج

الحج ركن من أركان الإسلام، فمن جحده أو أبغضه بعد البيان فهو كافر يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل، ويجب على المستطيع أن يعجّل بأداء فريضة الحج؛ لقوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» [آل عمران: ٩٧]. (فتاوى اللجنة الدائمة ١١/١١).

حكم العمرة

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن العمرة هل هي واجبة وإن كان فما الدليل عليه؟

فأجاب رحمه الله: «والعمرة في وجوبها قولان للعلماء، هما قولان في مذهب الشافعي وأحمد، والمشهور عنهما وجوبها، والقول الآخر لا تجب وهو مذهب أبي حنيفة ومالك، وهذا القول أرجح فإن الله إنما أوجب الحج بقوله: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» [آل عمران: ٩٧]، لم يوجب العمرة، وإنما أوجب إتمامهما، فأوجب إتمامهما لمن شرع فيهما، وفي الابتداء إنما أوجب الحج، وهكذا سائر الأحاديث الصحيحة ليس فيها إلا إيجاب الحج؛ ولأن العمرة ليس فيها جنس غير ما في الحج، فإنها إحرام وإحلال، وطواف بالبيت وبين الصفا والمروة، وهذا كله داخل في الحج». اهـ. [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦/٥، ٦].

تكرار العمرة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والإكثار من الطواف

Upload by: altawhedmag.com

بالبيت من الأعمال الصالحة، فهو أفضل من أن يخرج الرجل من الحرم ويأتي بعمرة مكية، فإنه لم يكن من أعمال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ولا رغّب فيه النبي صلى الله عليه وسلم أمته، بل كرهه السلف». [المصدر السابق: ١٤٥].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «وأما ما يفعله بعض الناس من الإكثار من العمرة بعد الحج من التنعيم أو الجعرانة أو غيرهما، وقد سبق أن اعتمر قبل الحج فلا دليل على شرعيته، بل الأدلة تدل على أن الأفضل تركه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لم يعتمروا بعد فراغهم من الحج، وإنما اعتمرت عائشة رضي الله عنها من التنعيم؛ لكونها لم تعتمر مع الناس حين دخول مكة بسبب الحيض، فطلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتمر بدلاً من عمرتها التي أحرمت بها من الميقات، فأجابها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك». [مجموع فتاوى ابن باز (٤٦/١٦)].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «أما ما يفعله العامة – الآن – من كونهم يترددون إلى الحِل فيأتي بعمرة في أول النهار ويأتي بعمرة أخرى في آخر النهار، فقد روي عن عطاء رحمه الله أنه قال: ما أدري أيؤجر هؤلاء أم يؤزرون؟ يعني: أم يأثمون، وفيها من المفاسد – ولاسيما في أيام المواسم – ما هو ظاهر، فإنهم يضيّقون على الحجاج، ويُتعبون أنفسهم، ويأتون بالأمور الغرائب العجائب. وقد رأيت رجلاً يسعى وقد حلق نصف رأسه الأيمن فقط والأيسر كله شعر، فقلت له ما هذا؟! فقال: هذا عن عمرة أمس والباقي لعمرة اليوم، وهذا كله من الجهل، ومن تلاعب الشيطان». اهـ. [فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ١٦/٨].

التهيئة للسفر

على المسلم إذا أراد السفر لأي جهة كانت أن يوصي أهله وذويه بتقوى الله عز وجل في السر والعلن باتباع أمره واجتناب نهيه.

وعليه التفقه في أحكام الحج والعمرة؛ حتى يعبد الله على بصيرة، وأن يختار الصحبة الصالحة من أهل الطاعة والفقه في الدين، ويجتنب رفقة السوء.

التحلل من حقوق الغير ورد المظالم إلى أهلها مهما كانت مادية أو غيرها.

أن يكتب ما له وما عليه من حقوق الناس، ويُشهد على ذلك، والآجال بيد الله عز وجل.

أن يتوب إلى الله تبارك وتعالى ويقلع من الذنوب والمعاصي ويندم على ما مضى منها ويعزم على ألا يعود إليها.

إخلاص العمل لله وحده والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في عباداته كلها، والابتعاد عن الرياء والسمعة والمفاخرة، فهذا من أسباب حبوط العمل وعدم قبوله.

إن من السنة في حال السفر لأكثر من اثنين اختيار أحدهم ليكون أميرًا عليهم، وتلزم طاعته في شئون سفرهم.

العزم على استغلال الأوقات الفاضلة في هذه المناسبة المباركة بالذكر والاستغفار والدعاء وقراءة القرآن، لشرف الزمان والمكان.

الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله بالحكمة واللين والتعامل الحسن.

أن ينوي المشاركة في خدمة الحجاج وحث الجميع على التقيد بالتعليمات الرسمية التي من شأنها خدمة ضيوف الرحمن، وتأمين سلامتهم والتعاون مع الجهات الأمنية في صد كل من يحاول الإفساد والمساس بأمن البلاد.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «الواجب على الحجاج – وفقهم الله – هو التقيد بالتعليمات التي تأمر بها الدولة – وفقها الله – لمصلحة الحجاج؛ لأن الله سبحانه وتعالى أوجب السمع والطاعة لولاة الأمر في المعروف، والتعليمات التي تقوم بها الدولة لمصلحة الحجاج من جملة المعروف، ومخالفتها معصية ونقص في الأجر، وفق الله الجميع لما يرضيه». [فتاوى ابن باز ١٥٥/١٧].

تجنب الغيبة والنميمة والكذب والاستهزاء بالناس وتنقصهم، والاستعلاء عليهم، والقيل والقال وكثرة المزاح، والجدال والكبر والغرور، فهذه أمور منكرة لا تليق بالمسلم، فيجب الترفع عنها والتوبة منها: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». [البخاري: ١٠، ومسلم: ٦٤].

تنبيهات عامة

– الذين يجوز الحج عنهم ثلاثة: الميت، والهرم الذي لم يحج ولا يستطيع الركوب، والمريض مرضًا لا يُرجى برؤه، ويجزئهم ذلك عن حجة الإسلام.

– من أراد أن يحج عن أحد تبرعًا منه فلا يلزمه أن يستأذن منه، سواء كان قريبًا منه أو بعيدًا عنه ومثل ذلك الدعاء والاستغفار للمسلمين عمومًا.

– من مات وهو لم يحج وله مال أُخرج من تركته ما يُحج به عنه إلا إذا مات كافرًا فلا يُحج عنه ولا يُتصدق له.

– يشترط على من يرغب الحج عن الغير بالأجر

Upload by: altawhedmag.com

أن يكون قد حج عن نفسه، وألا يكون هدفه المال، فهذا أمر مذموم، ويحج الرجل عن المرأة والعكس.

- أشهر الحج هي شوال وذو القعدة والعشر الأُول من ذي الحجة.

- «يجب الحج على من كان عليه دين ويستطيع الحج وقضاء الدين». [فتاوى ابن باز ١٦/١٢١].

- لا يجوز بعد الإحرام تغيير النية للغير بحج أو عمرة، بل يتعين على المحرم إكمال النُسك لنفسه لقول الله تعالى: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» [البقرة: ١٩٦].

- وعن جواز تغيير النية إلى نسك آخر في الحج يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «كذلك نجد الرجل يحرم بالحج ثم يقلبه إلى العمرة ليصير متمتعًا ويصح، ويحرم بالعمرة أولاً ثم يضيق عليه الوقت فيدخل الحج عليها فيصير قارنًا ولا بأس بهذا». [فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ٨/٨٤- ٨٥].

- لا يجوز للحجاج إذا أحرموا أن يأخذوا لأنفسهم صورًا يحتفظون بها للذكرى - كما يقولون - فإن أحبوا أن يرى الناس صورهم وهم محرمون، فإن هذا يدخل في الرياء، وهو من الشرك الأصغر، قال صلى الله عليه وسلم: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». فسئل عنه، فقال: «الرياء». [رواه أحمد، وصححه ابن باز في الفتاوى ١/٤٤].

- «يصح التمتع والقران من أهل مكة وغيرهم، لكن ليس على أهل مكة هدي، وإنما الهدي على غيرهم من أهل الآفاق القادمين إلى مكة محرمين بالتمتع أو القران». [فتاوى ابن باز ١٧/٨٤].

- المرأة إذا لم تجد محرمًا للحج قادرًا على صيانتها فليست بمستطيعة، ولا يجب عليها مباشرة الحج في هذه الحالة حتى تجد محرمًا.

- وإن وجدت محرمًا قادرًا، ولكن رفض زوجها، فلها أن تحج ولو لم يرضَ زوجها؛ إذا كان الحج فريضة، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

- «فإذا كان عند المرأة استطاعة مالية وبدنية للحج، ولكن ليس عندها محرم، فعليها أن تنتظر لعل الله ييسر لها المحرم بعد ذلك، فإذا أيست من المحرم فإنها توكل من يحج عنها وتدفع له تكاليف الحج، لأنها أصبحت غير مستطيعة لمباشرة الحج بنفسها مع قدرتها عليه بمالها، هذا الذي يجب عليها». [المنتقى للشيخ الفوزان ٣/١٦٨].

- «إذا حجت المرأة مع غير محرم فهي عاصية تأثم بذلك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أن تسافر المرأة إلا مع ذي محرم للحج ولغيره، أما الحج في حد ذاته فهو صحيح إن شاء الله، لكن مع الإثم، نرجو أن يعفو الله عنها». [المصدر السابق ٣/١٦٨- ١٦٩].

- يجوز للمرأة تناول حبوب منع الحيض في الحج ورمضان على ألا يترتب عليها إضرار بصحتها.

- الحائض والنفساء تغتسلان وتحرمان وتنويان الدخول في النسك حجًا أو عمرة، وتفعلان ما يفعله غيرهما إلا الطواف بالبيت والسعي، فهذا يتم بعد الطهر والاغتسال .

- لو طافت المرأة وبعد أن انتهت من الطواف أصابها الحيض فإنها في هذه الحالة تسعى لأن السعي لا تُشترط له الطهارة. [تنبيهات على أحكام تختص بالمؤمنات للشيخ الفوزان].

- الطفل الصغير: لولي أمره أن يحج به ويعتمر، فإذا كان مميزًا أحرم بإذن وليه، وإن كان غير مميز أحرم ونوى عنه وليه، وله حج ولوليه أجر، ولكن لا تجزئه عن الفريضة ويحج إذا بلغ.

- لا يحتاج الطفل إلى طواف وسعي مستقل، بل يمشي مع وليه، فإن عجز عن المشي يُحمل وينوي الولي عن نفسه وينوي الولي عن نفسه وينوي عن الطفل طاهر الثوب والبدن حال الطواف.

- «من مات أثناء الحج فإنه لا يكمل عنه، لحديث الذي وقَصَتهُ راحلته فمات فلم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإكمال الحج عنه، وقال: «إنه يُبعث يوم القيامة ملبيًا». متفق عليه».

متى يكون الحج مبرورًا؟

قال صلى الله عليه وسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [البخاري: ١٧٧٣، ومسلم: ٣٢٨٩].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في معرض شرحه للحديث: «ولكن النبي صلى الله عليه وسلم اشترط في الحج أن يكون مبرورًا وهو الذي جمع الأوصاف التالي ذكرها:

أولاً: أن يكون خالصًا لله عز وجل بأن لا يحمل الإنسان على الحج طلب مال أو جاه أو فرجة أو لقب أو ما أشبه ذلك، بل تكون نيته التقرب إلى الله عز وجل والوصول إلى دار كرامته، وهذا شرط في كل عبادة كما هو معروف.

ثانيًا: أن يكون بمال حلال، فإن كان بمال

Upload by: altawhedmag.com

حرام، فإنه ليس بمبرور حتى إن بعض العلماء يقول: إذا حج بمال حرام فإنه لا حج له؛ لأنه كالذي يصلي بأرض مغصوبة، وأنشدوا على ذلك:

إذا حججت بمال أصله سحت

فما حججت ولكن حجت العير

ثالثًا: أن يقوم الإنسان فيه بفعل ما يجب ليكون عبادة، فأما إذا لم يقم فيه بفعل ما يجب فليس بمبرور، كما يفعل بعض الناس اليوم، يذهب ليحج فيوكل من يرمي عنه، ويبيت في مكة، ويذبح فدية عن ترك المبيت في منى، ويخرج من مزدلفة من منتصف الليل أو من صلاة المغرب والعشاء؛ يتتبع الرخص!!! ثم يقول: «إنني حججت»، والذي يظهر – والعلم عند الله – أن حال مثل هؤلاء يقول: «لعبت لا حججت».

أين الحج من رجل لا يبيت إلا في مكة، ويوكل من يرمي عند الجمار، ويقول أذبح هديًا لترك المبيت، ويتقدم من مزدلفة مبكرًا؟! فإذا كان لا يمكنك أن تحج إلا على هذا الوجه فخيرٌ لك ألا تحج». اهـ. [فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٨/١١– ١٢].

الزيارات

يستحب للمسلم حاجًا أو غيره زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عليه الصلاة والسلام: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام». [البخاري: ١١٩٠، ومسلم: ٣٣٧٥].

وللزائر من خارج المدينة أن يشد الرحال لزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». [البخاري: ١٨٦٤، ومسلم: ١٣٩٧].

ويحسن بالمسلم القادم من سفر وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزور قبره وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزور قبر حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويزور قبور البقيع وشهداء أُحد ويدعو لهم ويترحم عليهم، وتكون الزيارات شرعية تذكّر بالموت، قال صلى الله عليه وسلم: «فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت». [مسلم: ٢٢٥٩].

لا يجوز التمسح بحجرة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أو تقبيلها والطواف بها، فهذا من البدع المحدثة.

ولا يجوز لأحد أن يدعو غير الله لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً؛ لأن ذلك شرك بالله وعبادة لغيره.

ولا يجوز دعاء الأموات مهما كانت منزلتهم والاستغاثة بهم وطلب الشفاء وتفريج الكُرب وقضاء الحوائج منهم أو الذبح والنذر لهم، فهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة – والعياذ بالله – ومحبط للأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

إن زيارات القبور خاصة بالرجال، أما النساء فمنهيات عن زيارة القبور، قال صلى الله عليه وسلم: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». [الترمذي: ٣٢٠، وأحمد: ٢٠٣٠، وأبو داود: ٣٢٣٦].

وعند زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف الزائر أمام القبر ويقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا سيد المرسلين وإمام المتقين، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، ثم يتأخر عن يمينه ويسلم على أبي بكر، ثم يتأخر عن يمينه أيضًا ويسلم على عمر رضي الله عنهما، ويدعو لهما ويترحم عليهما، ولا يرفع الصوت عند القبر في السلام على رسول الله وصاحبيه، ولا يطيل القيام والإكثار من تكرار السلام، فإن ذلك يفضي إلى مزاحمة الناس ومضايقتهم.

ولا يجوز استقبال قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه والدعاء عندها، فهذا من البدع المنكرة وخلاف ما عليه سلف الأمة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان، قال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [البخاري: ٢٦٩٧، ومسلم: ٤٤٩٢].

ويستحب لمن زار المدينة حاجًا أو معتمرًا أو لغير ذلك أو من أهل المدينة أن يزور مسجد قباء ويصلي فيه، قال صلى الله عليه وسلم: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة». [ابن ماجه: ١٤١٢].

«إن من الواجب على أهل العلم من الحجاج وغيرهم أن ينتهزوا فرصة هذا التجمع العظيم لحجاج بيت الله الحرام ومع شرف المكان والزمان ومضاعفة الحسنات أن يجتهدوا في تعليم الناس ما شرع الله لهم، ويحذروهم مما يحرمه عليهم من أنواع الشرك والمعاصي، قال صلى الله عليه وسلم: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله». [مسلم: ١٨٩٣].

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

Upload by: altawhedmag.com

المذهب الوسطي لأبي الحس

الحلقة الثانية

الأشعري ممن يدينون الله بإثبات صفاته تعالى دون تأويل ولا تفويض

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعدُ:

حقيقة ما كان عليه أبو الحسن الأشعري:

بوسعنا - لتوضيح حقيقة ما كان عليه أبو الحسن الأشعري - أن نعقد مقارنة بين ما آل إليه أمره وبين ما خالف فيه أتباعُه والمنتسبون إليه - ادعاءً - نهجَه وطريقته، فقد أثبت الأشعري في كتبه (الإبانة) و(رسالة إلى أهل الثغر) و(مقالات الإسلاميين) - بما لا يدع مجالاً لشك - أن الله استوى على العرش استواء حقيقياً يليق بجلاله وبلا كيف، وأن عرشه فوق سماواته، كما أثبت له كذلك سائر صفاته الخبرية والفعلية، وأبطل قول المعتزلة والجهمية والخوارج في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، واليد بالقدرة والنعمة، والوجه بالذات، والعين بالعلم.. إلى آخر ذلك، بما يعني ضمناً إبطاله لما يعتقده من يجنح إلى قولهم من متأخري الأشاعرة وإلى يوم الناس هذا.. وقد جاء إبطاله لما ذكرنا من وجهين:

أولهما: إثباته لجميع الصفات بلا تفويض ولا تأويل ولا تشبيه ولا تجسيم ولا صرفٍ لها عن ظاهرها:

فقد كان مما قاله في (الإبانة) نصاً وتحت عنوان (ذكر الاستواء على العرش): «إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواءً يليق به، كما قال: «الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ» [طه:٥]، وقد قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ» [فاطر:١٠]، وقال: «بل رفعه الله إليه» [النساء:١٥٨]، وقال: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ» [السجدة:٥]، وقال حاكياً عن فرعون: «يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا» [غافر:٣٦، ٣٧] فكذَّب فرعونُ موسى في قوله: إن الله سبحانه فوق السموات، وقال: «أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ» [الملك:١٦، ١٧] لما كان العرش فوق السموات، لأنه مستوٍ على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء والعرش فوق جميع السموات، وليس إذا قال: «أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ» [الملك:١٦، ١٧] يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات.. ألا ترى الله تعالى حين قال: «وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا» [نوح:١٦] لم يُرد أن القمر يملأهن جميعاً وأنه فيهن جميعاً.. ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله مستوٍ على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطّونها إذا دعوا إلى الأرض».

الأدلة العقلية والنقلية المؤيدة للفطرة السليمة:

ومن غير دليل الفطرة السالف ذكره، راح الأشعري -رحمه الله- يقيم المزيد من الأدلة العقلية والنقلية على ما سلمت به الفطرة السليمة، قائلاً: «ومما يؤكد أن الله مستوٍ على عرشه دون الأشياء كلها: ما نقله أهل الروايةِ فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر»، وقوله: «إذا بقي ثلث الليل، ينزل الله تبارك وتعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشف عنه؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ حتى ينبلج الفجر».. نزولاً يليق بذاته من غير حركة وانتقال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

دليل آخر: هو قوله تعالى: «يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ» [النحل:٥٠]، وقوله: «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ» [المعارج:٤]، وقوله: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ» [فصلت:١١]، وقوله: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ» [الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤]، فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستوٍ على عرشه، والسماء بإجماع

Upload by: altawhedmag.com

...ن الأشعري في توحيد الصفات

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي

الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه استواء منزهاً عن الحلول والاتحاد.

دليل آخر: هو قوله تعالى لعيسى ابن مريم: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ» [آل عمران:٥٥]، وقال: «وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» [النساء: ١٥٧، ١٥٨]، وقد أجمعت الأمة على أن الله سبحانه رفع عيسى إلى السماء، ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً إذا هم رغبوا إلى الله تعالى في الأمر النازل بهم يقولون: (يا ساكن السماء)، ومن حَلفهم جميعًا: (لا والذي احتجب بسبع سموات)، وقد روت العلماء قصة المرأة التي أراد معاوية بن الحكم أن يعتقها في كفارة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (أين الله؟)، قالت: في السماء، قال: (فمن أنا)؟ قالت: أنت رسول الله فقال: (اعتقها فإنها مؤمنة)»[الإبانة للأشعري باختصار ت د. حماد الأنصاري ص ٩١، ٩٣: ٩٦، ت د. فوقية حسين ٢/ ١٠٥: ١١٩، وت محمد عبد الهادي ص ١٢١: ١٣١].

معتقد أصحاب الحديث وأهل السنة:

وما ذكرته للأشعري هو عينه ما كرره وأكد عليه في الإبانة أيضاً، حين نسب ما قاله أصحاب الحديث وأهل السنة لنفسه صراحة وباعتباره واحداً منهم، فقال: «جملة قولنا: أنّا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن المماسَّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وأن له سبحانه وجهاً بلا كيف كما قال: «وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» [الرحمن:٢٧]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: «خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» [ص:٧٥]، وكما قال: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» [المائدة:٦٤]، وأن له سبحانه عينين بلا كيف كما قال: «تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا» [القمر: ١٤]» [الإبانة ص ٥٠، ٥١ ت حماد الأنصاري باختصار، وينظر العلو للذهبي ص ١٦٠ومختصره للشيخ الألباني ص ٢٣٨ وما بعدهما].

ومما قاله: «نصدق بجميع الروايات التي يُثبتها أهلُ النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأن الربَّ يقول: «هل من سائل، هل من مستغفر»؟! وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل، ونقول: إنه عز جل يجيء يوم القيامة كما قال سبحانه: «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» [الفجر:٢٢]، وأن الله يقرب من عباده كيف يشاء بلا كيف كما قال: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» [ق:١٦]» [الإبانة ص٥٥، وينظر ص ٩٧].

ومما ساقه في (مقالات الإسلاميين) ص ٢١٧ عن أصحاب الحديث، الذين رأيه من رأيهم، قولهم: «لسنا نقول في ذلك - يعني في اليدين والرجلين والوجه والعينين والجنب - إلا ما قاله الله عز وجل، أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول: (وجه بلا كيف، ويدان وعينان بلا كيف)».

جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة:

ومما ذكره أيضاً في مقالات الإسلاميين ص ٢٩٠ وما بعدها - وقد نقله عنه الإمام الذهبي في العلو ص ١٥٩ - ما جاء تحت عنوان: (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة) وفيه ما نصه: «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يردّون من ذلك شيئاً.. وأن الله على عرشه كما قال: «الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ» [طه:٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: «خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» [ص:٧٥]، وكما قال: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: «تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا» [القمر:١٤]، وأن له وجهاً كما قال: «وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» [الرحمن:٢٧]، وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج..

ويصدّقون - يعني أهل السنة - بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر) كما جاء الحديث، ويأخذون بالكتاب

Upload by: altawhedmag.com

والسنة كما قال تعالى: «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول» [النساء:٥٩]، ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله.. ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: « وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا» [الفجر:٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: « وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ » [ق:١٦]» إلى أن قال: «فهذا جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب».

إجماعات عقدية:

كما ذكر الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر ما نصه: «وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم» [رسالة الأشعري إلى أهل الثغر ص ٢٣٦ بتحقيق د. عبد الله شاكر].

ومن كلامه ما جاء في قوله قبل هذا النص مباشرة: «وأجمعوا على إثبات حياة لله عز وجل لم يزل بها حياً، وعلماً وقدرة وكلاماً وإرادة وسمعاً لم يزل بها كذلك، وأجمعوا على أن صفته عز وجل لا تشبه صفات المحدَثين كما أن نَفْسَه لا تشبه أنفس المخلوقين، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم يكن له عز وجل هذه الصفات لم يكن موصوفاً بشيء منها في الحقيقة..

وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له يدين مبسوطتين وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارح، وأن يديه تعالى غير نعمته.. وأجمعوا على أنه عز وجل يجئ يوم القيامة والملك صفاً صفاً لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها.. وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس نزوله نقلة .. وأجمعوا على أنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه.. وليس استواؤه على العرش استيلاء؛ لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء».

كيفية الإيمان بالصفات الخبرية والفعلية:

ويعني إقرار أبي الحسن الأشعري بما لله من الصفات الخبرية والفعلية، إثباتها له تعالى من غير تأويل ولا تفويض، كما يعني ضرورة التعرف على كل ما جاء منها في القرآن الكريم وصحيح السنة، والوقوف من ثمّ على معناها والعمل بمقتضاها وفهمها على ما تقتضيه قواعد اللغة وأصول الدين ومبادئ الشريعة، وذلك بالإيمان بها ونسبتها جميعاً إلى الله على النحو اللائق به من غير تشبيه ولا تجسيم، ولا تكييف ولا تفويض من جهة المعنى، وبإثباتها كلها إثباتاً بلا نفي ولا تعطيل؛ إعمالاً لقوله تعالى: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير..» (الشورى/١١)، إذ يفاد من قوله: (ليس كمثله شيء) نفي تشبيهها بصفات الخلق باعتبار أن الكلام عن الصفات متفرع عن الكلام في الذات، كما يفاد من قوله: (وهو السميع البصير) النهي عن نفي أو تعطيل أيٍّ منها لدلالة صحيح المنقول وصريح المعقول على أن إثباتها على النحو اللائق به، كدلالتهما على سمعه تعالى وبصره تماماً بتمام دون ما تفرقة، لا من قبل العقل ولا من جهة السمع.

رَد صريح على أصحاب التجهيل:

ففي النسق الكريم رد صريح على أصحاب التجهيل من فرق المعطلة والنفاة والمفوضة الذين أخذوا هذه الآية الكريمة وجعلوها «مستنداً لهم في رد الأحاديث الصحيحة، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم وما وضعته خواطرهم وأفكارهم، ردوه بـ (ليس كمثله شيء)، تلبيساً منهم وتدليساً وتحريفاً لمعنى الآي عن مواضعه، ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام، فهموا أن إثباتها يقتضي التمثيل بما للمخلوقين! ثم استدلوا على إبطال ذلك بـ (ليس كمثله شيء)»[العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز وتحقيق الألباني وآخرين ص٢٩٧، ٢٩٨].

وهؤلاء الذين يتحدث عنهم هنا شارح الطحاوية الإمام العلامة ابن أبي العز - ت ٧٩٢ - من أصحاب التجهيل واللاأدرية الذين يقولون: لا ندري معاني الصفات وينسبون طريقتهم إلى السلف، ويقول المتأولون عنها: أنها هي الأسلم، ويجعلونها من المتشابه، ويحتجون لذلك خطأ بقوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله).. يُشخص ابن القيم ماهيتهم ويكشف لنا عن حقيقة أمرهم ويلخص من خلال كلامه عنهم عور فكرهم وخطأ تصورهم، فيشير إلى أن أصحاب هذا الفكر هم الذين قالوا: إن «نصوص الصفات، ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يُدرَى ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرؤها ألفاظاً لا معاني لها ونعلم أن لها تأويلاً

Upload by: altawhedmag.com

لا يعلمه إلا الله، وهي عندنا بمنزلة (كهيعص) و(حم عسق) و(المص)، فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً ولم نعرف معناه، وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله، وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات، ولا يفهمون معنى قوله: «لما خلقت بيدي..» (ص/ ٧٥) وقوله: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة..» (الزمر/ ٦٧) وقوله: «الرحمن على العرش استوى» (طه/ ٥) وأمثال ذلك من نصوص الصفات، وبنوا هذا المذهب على أصلين:

أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه، والثاني: أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله، فنتج عن هذين الأصلين استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنهم كانوا يقرءون هذه الآيات المتعلقة بالصفات ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أريد به، ولازم قولهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه، ثم تناقضوا أقبح تناقض فقالوا: تُجرَى على ظواهرها وتأويلها بما يخالف هذه الظواهر باطل، ومع ذلك فلها تأويل لا يعلمه إلا الله، فكيف يثبتون لها تأويلاً ويقولون تُجرَى على ظواهرها؟ ويقولون الظاهر منها مراد، والرب منفرد بعلم تأويلها؟ وهل من التناقض أقبح من هذا؟

وهؤلاء غلطوا في المتشابه، وفي جعل هذه النصوص من المتشابه، وفي كون المتشابه لا يعلم معناه إلا الله، فأخطئوا في المقدمات الثلاث، واضطرهم إلى هذا: التخلص من تأويلات المبطلين وتحريفات المعطلين وسدوا على نفوسهم الباب، وقالوا لا نرضى بالخطأ ولا وصول لنا إلى الصواب، فتركوا التدبر المأمور به والتعقل لمعاني النصوص، وتعبدوا بالألفاظ المجردة التي أنزلت في ذلك، وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها».

وأولئك فضلاً عن كونهم قد جعلوها عرضة للتأويل والتحريف، فإن قولهم يستلزم أن «يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا أصحابهم ولا التابعون لهم بإحسان بل يقرءون كلاماً لا يعقلون معناه».[الصواعق ص ٦٢، ٦٣، ١٢٣باختصار وينظر الحموية ص٧].

منهج السلف في الصفات:

والحق أن الأمر على خلاف ذلك، فقد انبنى منهج السلف في الصفات على النحو الذي أوضحه وأفصح عنه أبو الحسن الأشعري، أعني: على الإثبات الذي لا يتأتى إلا بفهم معانيها الواردة في آيات القرآن وأحاديث السنة من غير تأويل، «ولو كان معناها غير مفهوم لهم لما صح من سلف هذه الأمة الإثبات؛ إذ كيف يثبتون شيئاً لا يعقلون معناه، غاية الأمر أنهم لم يكونوا يبحثوا فيما وراء هذه الظواهر عن كنه هذه الصفات أو كيفية قيامها بذاته تعالى». [ينظر ابن تيمية السلفي د. هراس ص ٤٩]

لكون ذلك مما استأثر الله بعلمه ولكون الكلام عن الصفات - كما تقرر لديهم ولدى سائر أهل الاعتقاد - فرع عن الكلام في الذات، والقاعدة في ذلك هي على شاكلة ما قررته زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمه رضي الله عنها ونطق به مالك وربيعة بحق استوائه تعالى على عرشه من أن (الاستواء معلوم، والكيف مجهول)، وعلى ما قال ابن الماجشون والإمام أحمد وغيرهم: [إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه).

وممن ساق الإجماع على كل ما ذكرناه خاصة لأبي الحسن الأشعري، الحافظ الحجة أبو نصر السجزيّ ت٤٤٤؛ حيث قال في إبانته: «أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء» [ينظر العلو ١٧٢، ١٨٠ ومختصره ص٢٥٥، ٢٦٦ واجتماع الجيوش ص٩٧، ١١٠والمعارج١/ ١٥٠]، وكذا ابن قدامة موفق الدين وذلك قوله - بعد أن ساق كلاماً في هذا الصدد للإمام أحمد والإمام الشافعي-: «وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله»[لمعة الاعتقاد ص ١٩].. وللحديث بقية بمشيئة الله.

نسأل الله الهداية والتوفيق وحسن الخاتمة، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

باب الأسرة

الحياءُ المَجْنِيُّ عليه

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فالحياء خُلق الكرام وسمة أهل المروءة والشرف، وعنوان الفضل والنبل، ولقد صدق أهل اللغة حيث قالوا: الاستحياء من الحياة، واستحياء الرجل من قوة الحياة فيه؛ لشدة علمه بمواقع العيب والذم.

والحياء باعثه إحساس رقيق، وشعور دقيق، في العين مظهره، وعلى الوجه أثره، ومَن حُرِمَه حُرِمَ الخير كله، ومن تحلى به ظفر بالعزة والكرامة، ونال الخير أجمع، وهو زينة النفوس؛ يصدها عن فعل ما يشينها، ويحملها على التحلي بجميل الخصال، فهو أبدًا لا يأتي إلا بخير، وكفى خيرًا أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بضده البذاء أن يكون على الشر دليلاً وإليه سبيلاً، ومن الحِكَم قولهم: «من كساه الحياءُ ثوبَه لم ير الناس عيبه».

فالواجب على العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل وبذر الخير، وتركه أصل الجهل وبذر الشر، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل.

والحياء اسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال. وهو قسمان:

أحدهما: استحياء العبد من الله جل وعلا عند الهمّ بمباشرة ما خطر عليه، والثاني استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معًا.

والحياءان جميعًا محمودان إلا أن أحدهما فرض والآخر فضل.

فلزوم الحياء عند مجانبة مَا نهى الله عنه فرض، ولزوم الحياء عند مقارفة مَا كره الناس فضل.

وما أحسن القائل:

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحِ فاصنع مَا تشاء
فلا والله ما في العيش خيرٌ
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء

ثمرة الحياء وبركته:

فالواجب على العاقل أن يعوّد نفسه لزوم الحياء من الناس، وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال المحمودة، ومجانبتها الخلال المذمومة، كما أن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز بالجنة والنجاة من النار، بلزوم الحياء عند مجانبة مَا نهى الله عنه؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معًا في المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين المخلوقين، وإذا قوي حياؤه قوي كرمه، وضعف لؤمه، وإذا ضعف حياؤه قوي لؤمه وضعف كرمه.

والمرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ودفن مساويه ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ،

Upload by: altawhedmag.com

ومن ذهب سروره هان على الناس ومُقت في من مُقت وأوذي، ومن أوذي حَزن، ومن حزن فقد عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عَلَيْه لا له ولا دواء لمن لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب. [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ٥٩]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» رواه البخاري ومسلم.

وغاية الإسلام أن يقيم مجتمعًا فاضلاً، تنعدم فيه مظاهر الإثم والجريمة، وأسباب الفحش والمنكر، بحيث يغدو هذا المجتمع نظيفًا من كل ما يدعو إلى الوقاحة والدناءة والفجور.

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ». [سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٩٩، وحسنه الألباني].

وعَنْ يَعْلَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ».[سنن أبي داود ٤/ ٣٩، وصححه الألباني].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ موقوفًا قَالَ: «إِنَّ الحَيَاءَ وَالإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ». [صحيح الأدب المفرد للألباني ص ٧٣٩].

فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، كما أن الوقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدومًا، وتواتر الشر منه موجودًا؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها، فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَالبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ، وَالجَفَاءُ فِي النَّارِ» [سنن الترمذي وصححه الألباني].

موانع الحياء:

١. المزاح

اعْلَمْ أَنَّ لِلْمِزَاحِ إزَاحَةً عَنْ الحُقُوقِ، وَمَخْرَجًا إلَى القَطِيعَةِ وَالعُقُوقِ، يَصِمُ المَازِحَ وَيُؤْذِي المُمَازِحَ. فَوَصْمَةُ المَازِحِ أَنْ يُذْهِبَ عَنْهُ الهَيْبَةَ وَالبَهَاءَ، وَيُجَرِّئَ عَلَيْهِ الغَوْغَاءَ وَالسُّفَهَاءَ. وَأَمَّا أَذِيَّةُ المُمَازِحِ فَلِأَنَّهُ مَعْقُوقٌ بِقَوْلٍ كَرِيهٍ وَفِعْلٍ مُمِضٍّ، إنْ أَمْسَكَ عَنْهُ أَحْزَنَ قَلْبَهُ، وَإِنْ قَابَلَ عَلَيْهِ جَانَبَ أَدَبَهُ. فحق عَلَى العَاقِلِ أَنْ يَتَّقِيَهُ وَيُنَزِّهَ نَفْسَهُ عَنْ وَصْمَةِ مَسَاوِئِهِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ: اتَّقُوا المِزَاحَ، فَإِنَّهَا حمقة تُورِثُ ضَغِينَةً. وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ: «إنَّمَا المِزَاحُ سِبَابٌ إلَّا أَنَّ صَاحِبَهُ يُضْحِكُ».

وَقِيلَ: «إنَّمَا سُمِّيَ المِزَاحُ مِزَاحًا؛ لِأَنَّهُ يُزِيحُ عَنْ الحَقِّ».

٢- الغناء واستماعه:

قَالَ يَزِيدُ بْنُ الوَلِيدِ النَّاقِصُ: «يَا بَنِي أُمَيَّةَ، إِيَّاكُمْ وَالغِنَاءَ، فَإِنَّهُ يُنْقِصُ الحَيَاءَ، وَيَزِيدُ فِي الشَّهْوَةِ، وَيَهْدِمُ المُرُوءَةَ، وَإِنَّهُ لَيَنُوبُ عَنِ الخَمْرِ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ السُّكْرُ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فاعلِينَ، فَجَنِّبُوهُ النِّسَاءَ؛ إِنَّ الغِنَاءَ دَاعِيَةُ الزِّنَى». [شعب الإيمان ٧/ ١١٢]

٣- شرب الخمر:

اعلم أن شرب الخمر والمخدرات كليهما يُذهب الحياء والمروءة، والنخوة والشهامة والغيرة.

قال بعض أهل العلم: «لأن أرى ابني يزني أو يسرق أحبّ إليّ من أن يسكر، يأتي عليه وقت لا يعرف الله فيه». [نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١٠/ ٤٧٠٨].

٤- سؤال الناس:

إن سؤال الناس ما في أيديهم من الدنيا عيب ونقص في الإنسان، وذلة تنافي المروءة، إلا في العلم فإنه عين كماله ومروءته وعزته، كما قال بعض أهل العلم: «خير خصال الرجل: السؤال عن العلم».

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَزَالُ المَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ» [صحيح مسلم ٢/ ٧٢٠].

٥- إطلاق البصر والنظر إلى ما لا يحل:

أَكْثَرُ فَسَادِ القَلْبِ مِن تَخْلِيطِ العَيْنِ، مادام بَابُ العَيْنِ موثقًا بالغض، فالقلب سليم من الآفة، فإذا فتح البَابَ طار طائر، وربما لم يعد، يا أيها المتساهلون في إطلاق الأبْصَار جاء أمر الواحد القهار: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ» [النور/ ٣٠]، واعْلَمُوا أَنَّ إِطْلاقَ البَصَرِ سَبَبٌ لأَعْظَمِ الفِتَنِ، وَهَذَا القُرْآنُ يَأْمُرُكَ بِاسْتِعْمَالِ الحِمْيَةِ عَنْ مَا هُوَ سَبَبُ الضَّرَرِ. [التبصرة لابن الجوزي ١/ ١٦٠].

إن الذي يطلق بصره إلى ما حرم الله تعالى؛ لو كان معه إيمان لما أكب على السماع وعلى النظر إلى هذه الصور، سواء كانت مرسومة ومصورة في صحف ومجلات، أو كانت مبثوثة في البث المباشر، أو في هذه الأفلام ونحوها، فيعرِّض نفسه للفتنة، فهذه من المعاصي ومن المحرمات المتمكنة التي فتنت الكثير، والتي دعت إلى فواحش أخرى.

ما أخذ بسيف الحياء:

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء: ٢٩].

حَكَى الغَزَالِيُّ أَنَّ مَنْ أَعْطَى غَيْرَهُ شَيْئًا وَلَيْسَ البَاعِثُ

Upload by: altawhedmag.com

عَلَيْهِ إِلَّا الْحَيَاءَ مِنَ النَّاسِ، كَأَنْ سُئِلَ بِحَضْرَتِهِمْ شَيْئًا فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَلَوْ كَانَ وَحْدَهُ لَمْ يُعْطِهِ، الْإِجْمَاعُ عَلَى حُرْمَةِ أَخْذِهِ مِثْلَ هَذَا، لِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ مِلْكِهِ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ مُكْرَهٌ بِسَبَبِ الْحَيَاءِ، فَهُوَ كَالْمُكْرَهِ بِالسَّيْفِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ أَعْطَى غَيْرَهُ شَيْئًا مُدَارَاةً عَنْ عِرْضِهِ حُكْمُهُ كَذَلِكَ، وَكَذَا مَنْ أَعْطَى حَاكِمًا أَوْ سَاعِيًا أَوْ أَسِيرًا شَيْئًا، عَلِمَ الْمُعْطِي مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا يَحْكُمُ لَهُ بِالْحَقِّ أَوْ لَا يَأْخُذُ مِنْهُ الْحَقَّ إِلَّا إِنْ أَخَذَ شَيْئًا، فَفِي كُلِّ هَذِهِ الصُّوَرِ وَمَا أَشْبَهَهَا لَا يَمْلِكُ الْآخِذُ لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «هَدَايَا الْعُمَّالِ غُلُولٌ». [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/ ١٢٧٠].

نماذج من أهل الحياء:

١. عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: « جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ تُبَايِعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ عَلَيْهَا: «أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ » [الممتحنة: ١٢] الْآيَةَ « قَالَتْ: « فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا حَيَاءً، فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى مِنْهَا « فَقَالَتْ عَائِشَةُ: « أَقِرِّي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، فَوَاللهِ مَا بَايَعَنَا إِلَّا عَلَى هَذَا « قَالَتْ: فَنَعَمْ إِذًا، فَبَايَعَهَا بِالْآيَةِ. [مسند أحمد ط الرسالة ٤٢/ ٩٥، إسناده صحيح].

٢. وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي، وَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ» . [مسند أحمد ط الرسالة ٤٢/ ٤٤١].

أخيتي! أتذكرين يوم كنت بنت تلك القرية الصغيرة؟! أتذكرين يوم كنت تلعبين وتمرحين مع أبناء الحي ببراءة الصغار وطهارة القلب؟ أتذكرين يوم كنت تستحين أشد الحياء من استعمال الأصباغ والعطور والزينة، قبل أن يأخذ الزوج بيدك؟ ما أجمل نعمة الحياء ووازع الدين والخلق، وما أحسن عادات وتقاليد البيئة العربية الأصيلة، فلماذا تتنكرين لها؟! ولماذا التعالي عليها بحجة اتباع الموضات والصيحات؟! ولماذا نترك الآداب الإسلامية الأصيلة بعفتها وطهارتها ونتجه إلى الاختراعات الغربية الدخيلة بنتنها ونجاستها؟! أنستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

الحياء في غير محله:

يقول مجاهد رحمه الله وهو تابعي جليل: [لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر] ، ذكره البخاري رحمه الله تعليقاً وتبويباً، وقد صدق في ذلك.

فجدير بالعالم وطالب العلم أن يكون هكذا حريصاً على طلب العلم، متواضعاً في ذلك، لا يمنعه الحياء من أن يتفقه في الدين، ولهذا قالت أم سليم رضي الله عنها في الحديث الصحيح: «يا رسول الله! إن الله لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، إذا هي رأت الماء» [متفق عليه] ، فقدَّمت هذه المقدمة قبل سؤالها: «إن الله لا يستحيي من الحق - ثم سألت- فقالت: يا رسول الله! هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، إذا هي رأت الماء» ، أي: المني، وهكذا الرجل إذا رأى الماء في نومه، ليلاً أو نهاراً، وهكذا إذا خرج المني عن شهوة في غير النوم، مثل: التفكير، أو النظر، أو الملامسة، فعليه الغسل أيضاً.

والمقصود من هذا أن الحياء لا ينبغي أن يَمنع من العلم، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها عند سماعها كلام أم سليم: «نعْم النساء نساء الأنصار؛ لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» .

فلا ينبغي أبداً للمؤمن ولا للمؤمنة أن يمنعهما الحياء من التفقه في الدين، والسؤال عما أشكل، عن طريق الكتابة، أو الهاتف، أو أي طريق صحيح.

شبهة في الحياء:

إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الحياء لا يأتي إلا بخير) ، ولما حدَّث عمران بن حصين رضي الله عنه بهذا الحديث لبعض التابعين قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الحياء كله خير) ، فقال هذا التابعي لـ عمران: (إن من الحياء ضعفاً) ، مثل أن يُؤمر بمعصية الله فيفعلها حياءً، فقال: إن من الحياء ضعفاً، فغضب عمران وقال: أُحدثك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدثني عن الكتب؟! لا كلمتك أبداً؛ لأنه يعارض كلام النبي صلى الله عليه وسلم بما هو موجود في الكتب على ألسنة بعض الناس.

فإذاً: إذا أُمر الرجل بمعصية فاستحيا، لا تقل: إنه مستح، هذا ليس من الحياء، هذا ضعف، وهذا الضعف يرجع إلى حقيقة التصور الإيماني عند هذا الإنسان، إذا أمر المرء بمعصية الله عز وجل، ولو كان الآمر الوالد، فلا يجوز للولد أن يمتثل.

كيف نعيد الحياء إلى سلوكياتنا؟

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ» . قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»(سنن الترمذي وحسنه الألباني).

نسأل الله أن يهدينا لأحسن الأخلاق والأعمال، ويصرف عنا سيئ الأخلاق والأعمال، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

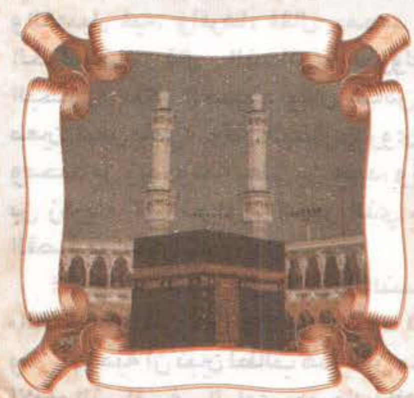
Upload by: altawhedmag.com

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة سكب العبرات عند الحجر الأسود

الحلقة «١٤٥»

إعداد/ علي حشيش



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ واغتر الكثير بها لوجودها في بعض كتب السنة الأصلية.

ولقد بينا من قبل في هذه السلسلة كثيرًا من القصص الواهية المتعلقة بالحج والزيارة، والتي اشتهرت وانتشرت ومنها - حتى يتذكر القارئ الكريم-:

- قصة حج آدم.
- قصة بلال وشد الرحال إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم.
- قصة حج الرفاعي وتقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم.
- قصة رسالة إلى عابد الحرمين.
- قصة مجيء الأعرابي إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم.
- قصة مفتاح الكعبة ونزول آية الأمانات.
- قصة مسائل عطاء بن أبي رباح وهو يطوف بالبيت.
- قصة نداء المَلَك على الحاج إذا وضع رجله في الغرز.
- قصة المغفرة للظالمين بين عشية عرفة وصباح المزدلفة.
- قصة مفتراة على النبي صلى الله عليه وسلم في إبقائه صورة عيسى ابن مريم وأمه في الكعبة.
- قصة قبر إسماعيل عليه السلام وأمه في الحِجْر من المسجد الحرام.
- قصة اجتماع الخضر رابع أربعة في كل يوم عرفة.

كذلك نواصل التخريج والتحقيق حتى يحقق ثمرة علم الحديث التطبيقي والذي به يستبين المقبول والمردود حتى تحفظ الأمة من شر هذه الواهيات

Upload by: altawhedmag.com

وأثرها السيئ.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق قصة «سكب العبرات عند الحجر الأسود».

أولاً: متن القصة:

رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي، فقال: يا عمر: هاهنا تُسْكَبُ العَبَرَات».

ثانياً: التخريج:

١- أخرج هذا الخبر الذي جاءت به قصة سكب العبرات عند الحجر ابن ماجه في «السنن» (ح٢٩٤٥)، كتاب (٢٥): المناسك باب (٢٧) استلام الحجر، قال: حدثنا علي بن محمد، حدثنا خالي يعلى، عن محمد بن عون، عن نافع عن ابن عمر قال: «استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر».. القصة.

٢- وأخرج هذا الخبر أيضًا الحاكم في «المستدرك» (٤٥٤/١) قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الزاهد إملاءً، حدثنا أحمد بن يونس الضبي، حدثنا يعلى بن عبيد الطنافسي، حدثنا محمد بن عون، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال... الخبر.

٣- وأخرج هذا الخبر أيضًا ابن حبان في كتابه «المجروحين والضعفاء والمتروكين» (٢٧٢/٢) قال: حدثنا محمد بن سهل الجعفري قال: حدثنا يعلى بن عبيد، عن محمد بن عون الخراساني، عن نافع، عن ابن عمر قال... الخبر.

ثالثاً: التحقيق:

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية علته محمد بن عون الخراساني، وقد انفرد بهذا الخبر عن نافع عن ابن عمر، فهذا الخبر من حيث وصوله إلينا عند علماء الصنعة بعد جمع الطرق يكون من نوع الغريب المطلق، وهذا الانفراد من محمد بن عون عن نافع، عن ابن عمر قال فيه الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢٧٢/٢): «محمد بن عون الخرساني كان ممن ينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات، مع قلة روايته، فلا يُحتج به». ثم أخرج هذا الخبر ليبرهن على قوله هذا في تجريح محمد بن عون، ويبين أنه روى عن نافع وروى عنه يعلى بن عبيد.

٢- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٦٠٦/١٩٧/١): «محمد بن عون الخراساني عن نافع: منكر الحديث، روى عنه يعلى». اهـ.

قلت: ولا بد لطالب هذا العلم التطبيقي أن يعرف مناهج المحدثين في الجرح والتعديل، فعلى وجه المثال لا الحصر: قول الإمام البخاري الذي أوردناه آنفًا في محمد بن عون أنه «منكر الحديث» فقوله هذا يدل على الجرح الشديد في الراوي، وليس كقول غيره في الراوي منكر الحديث يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر في هدي الساري ص ٥٠٤: «وللبخاري في كلامه في الرجال توق زائد وتحرٍّ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل فإن أكثر ما يقوله: «سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو ذلك...» ا.هـ.

قلت: ولقد نبّه على هذا الإمام السيوطي في تدريب الراوي (٣٤٩/١) فقال: «البخاري يطلق « فيه نظر» و«سكتوا عنه» فيمن تركوا حديثه، ويطلق «منكر الحديث» على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٣- ولقد أورده الإمام الذهبي في الميزان (٨٠٣١/٦٧٦/٣) ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، وأقرها، فقال: «محمد بن عون الخراساني، قال النسائي: متروك، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال عباس عن ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: روى عن نافع ومحمد بن زيد، وعنه يعلى بن عبيد، وإسماعيل بن زكريا». اهـ. ثم أورد الخبر الذي جاءت به القصة من منكراته.

٤- قلت: لذلك قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٣٢): «متروك الحديث». ومن الأهمية أن نبين لطالب هذا الفن معنى قول الإمام النسائي في الراوي «متروك»؛ لأهميته في علم الحديث التطبيقي، ولقد بيّن ذلك الحافظ

Upload by: altawhedmag.com

ابن حجر في «شرح النخبة» ص(٧٣): «ولهذا كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٥- ولقد طبق الحافظ ابن حجر مذهب الإمام النسائي في حكمه على محمد بن عون في كتابه «تقريب التهذيب» حيث بيّن منهجه فيه، فقال: «إني أحكم على كل شخص متَّهم بحكم يشمل أصح ما قيل فيه وأعدل ما وُصف به بألخص عبارة وأخلص إشارة». اهـ.

٦- قال الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤٧/٨): «سألت أبي عن محمد بن عون الخراساني، فقال: ضعيفُ الحديث، منكر الحديث، روى عن نافع حديثًا ليس له أصل». اهـ.

٧- نقل الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٦١١٧/١٢٨/١٧) قول الإمام أبي حاتم ثم أخرج الخبر الذي جاءت به القصة على طريقة أصحاب المستخرجات، وهو أنه أخرج حديث القصة بإسناد لنفسه من غير طريق ابن ماجه فاجتمع مع ابن ماجه في شيخ شيخه، وهو يعلى بن عبيد، يتبين ذلك من قول الإمام المزي حيث قال: «وروى له ابن ماجه حديثًا واحدًا، وقد وقع لنا بعلو عنه، ثم روى السند عنه حتى وصل إلى شيخ شيخ ابن ماجه، ثم قال: فوقع لنا بدلًا عاليًا، وكأنه الحديث الذي أشار إليه أبو حاتم». اهـ.

٨- أورده الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٢٤٤/٦) (١٧٢١/١٠٠).

أ- فأخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: «محمد بن عون الخراساني ليس بشيء». اهـ.

ب- وأخرج بسنده أيضا عن البخاري قال: محمد بن عون الخراساني منكر الحديث». اهـ.

جـ- وأقر قول النسائي: «محمد بن عون منكر الحديث». اهـ.

د- وأخرج الخبر الذي جاءت به القصة من بين الأحاديث المنكرة لمحمد بن عون، ثم قال: «ولمحمد بن عون غير ما ذكرت، وعامة ما يرويه لا يُتابع عليه». اهـ.

٩- وأورده الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٦٧٠/١١٢/٤).

أ- فأخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: «محمد بن عون الخراساني ليس بشيء».

ب- وأخرج بسنده عن البخاري قال: «محمد بن عون الخراساني مروزي منكر الحديث».

جـ- ثم أخرج الخبر الذي جاءت به القصة من منكرات محمد بن عون، ثم قال: «ولا يُعرف إلا به».

قلت: يتبين من قول ابن عدي في محمد بن عون: «عامة ما يرويه لا يُتابع عليه». وقول العقيلي: «لا يُعرف إلا به». أن الخبر الذي جاءت به القصة غريب مطلق، انفرد به محمد بن عون عن نافع عن ابن عمر، وهذا يؤكد ما أوردناه آنفًا من انطباق قول الإمام ابن حبان في محمد بن عون على هذا الخبر تمام الانطباق: «محمد بن عون الخراساني كان ممن ينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات عن قلة روايته فلا يحتج به». اهـ.

قلت: وهذا يبين أهمية الجمع بين أقوال أئمة الجرح والتعديل عند التحقيق والتطبيق للحكم على الخبر.

١٠- وذكر البرهان على الغرابة المطلقة بتفرد محمد بن عون مهم جدًا في علم الحديث التطبيقي، حتى لا يتقول علينا من لا دراية له ويقول أن الخبر الذي جاءت به القصة له طرق أخرى.

وإلى القارئ الكريم برهان آخر على هذا التفرد فقد أخرج خبر القصة أيضا الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٦/٣) (ح٤٠٥٦)، ثم قال: «تفرد به محمد بن عون».

١١- ثم ذكره الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٤٦٥) وقال: «محمد بن عون الخراساني سكن الكوفة عن نافع وسعيد بن جبير». اهـ.

قلت: يتوهم من لا علم له بمناهج المحدثين في الجرح والتعديل من قول الدارقطني هذا في محمد بن عون أن الدارقطني سكت عنه ولكن هيهات هيهات، فمجرد ذكر اسمه في كتاب «الضعفاء والمتروكين» للدارقطني يدل

Upload by: altawhedmag.com

على الضعف الشديد، كما هو مبين في منهجه في «المقدمة» حيث قال الإمام البرقاني: طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبي حسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الوريقات. اهـ.

قلت: وبهذا يتبين لطالب العلم، خاصة علم الحديث التطبيقي أهمية معرفة مناهج المحدثين في الجرح والتعديل، وكذلك مصطلحاتهم كما بينا آنفا.

١٢- ونقل الحافظ ابن حجر أقوال أئمة الجرح والتعديل التي أوردناها آنفا وأقرها في تهذيب التهذيب (٩/٢٤٢)، ثم نقل قول الإمام الدولابي وقول الإمام الأزدي في محمد بن عون فقال: «وقال الدولابي والأزدي: متروك الحديث» اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية منكر تفرد به محمد بن عون الذي ليس بشيء ومتروك، بل بيّن حاله أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله الإمام البخاري بأنه منكر الحديث ولا تحل الرواية عنه، فالخبر باطل، والقصة واهية، فكم من خطيب وقصاص يذكر هذا الخبر في المساجد في أشهر الحج، فقد كشفنا حاله لكم وبينا عواره فهل أنتم منتهون؟!

رابعًا: بدائل صحيحة:

لقد أوردنا في سلسلة درر البحار القسم الأول «صحيح الأحاديث القصار» أحاديث في أعلى درجات الصحة في الحج تغني عن هذه المنكرات الواهية.

فليرجع القارئ الكريم إليها وليرجع الخطباء والوعاظ حتى تتحقق لهم بشرى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتواتر: «نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها إلى من لم يسمعها، فرُبّ حامل فقه غير فقيه، ورُبّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه». أورده الإمام السيوطي في «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» (ح٢)، وأخرجه أصحاب السنن الأربعة من حديث زيد بن ثابت، وأخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود، والحاكم من حديث جبير بن مطعم ومن حديث النعمان بن بشير، وأخرجه الطبراني من حديث سعد بن أبي وقاص، وحديث أنس، وحديث بشير والد النعمان، وحديث جابر بن عبد الله، وحديث عمير بن قتادة الليثي، وحديث معاذ بن جبل، وحديث أبي الدرداء، وحديث أبي قرصافة وأخرجه البزار من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه أبو نعيم من حديث ربيعة بن عثمان التيمي، وأخرجه الرافعي في «تاريخ قزوين» من حديث ابن عمر، وأخرجه ابن عساكر من حديث زيد بن خالد الجهني. اهـ.

قلت: ونقله بهذا التخريج المحدث الكتاني في «نظم المتناثر» من الحديث المتواتر (ح٣).

ثم قال: ورد أيضًا من حديث عائشة، وأبي هريرة، وشيبة بن عثمان.

وذكر ابن منده في «تذكرته» أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرون صحابيًا ثم سرد أسماءهم، نقله ابن حجر في «أماليه» المخرجة على مختصر ابن الحاجب الأصلي». اهـ.

قلت: بعد ثبوت هذه البشرى بما بيناه من تواترها ثبوت الشمس في ضحاها.

فإليك هذه الأحاديث الصحيحة الثابتة في الحج والتي تحقق لك هذه البشرى بروايتها والتي أوردناها في سلسلة درر البحار من صحيح الأحاديث القصار بالأرقام الآتية: (٢٩٧ إلى ٣٤٥).

تسعة وأربعين حديثًا.

هذه أحاديث صحيحة متفق عليها في أعلى درجات الصحة في الحج تغني عن هذه القصص الواهية والأحاديث المكذوبة الموضوعة التي تجعل قائلها يقع تحت وعيد قول النبي صلى الله عليه وسلم والذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح١٠٩) قال: حدثنا مكي بن إبراهيم قال: حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار».

هذا ما وفقني إليه، وهو وحده من وراء القصد.

Upload by: altawhedmag.com

باب الاقتصاد الإسلامي

بيع العينة والتورق

نظريات في التطبيق العملي

الحلقة الثانية

إعداد/ د. علي السالوس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد السابق عن حكم البيع بالتقسيط، وما يجب أن يتوفر فيه من الضوابط، ونكمل ما بدأناه في الحلقة السابقة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

العينة والتورق

تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن الحِيَل الربوية، ومما قاله:

ومن ذرائع ذلك: مسألة العِينَة وهو أن يبيعه سلعة إلى أجل، ثم يبتاعها منه بأقل من ذلك، فهذا مع التواطؤ يُبطل البيعين؛ لأنها حيلة.

وقد روى أحمد وأبو داود بإسنادين جيدين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة، واتبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد في سبيل الله، أرسل الله عليكم ذلًا لا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم» [صحيح الجامع للألباني ٤٢٣].

وإن لم يتواطآ فإنهما يبطلان البيع الثاني سدًا للذريعة، ولو كانت عكس مسألة العينة من غير تواطؤ: ففيه روايتان عن أحمد، وهو أن يبيعه حالًا، ثم يبتاع منه بأكثر مؤجلًا، وأما مع التواطؤ فربًا محتال عليه.

ولو كان مقصود المشتري الدراهمَ، وابتاع السلعة إلى أجل؛ ليبيعها ويأخذ ثمنها، فهذا يسمى: التورق، ففي كراهته عن أحمد روايتان، والكراهة قول عمر بن عبد العزيز ومالك، بخلاف المشتري الذي غرضه التجارة، أو غرضه الانتفاع أو القُنْيَة، فهذا يجوز شراؤه إلى أجل بالاتفاق.

ففي الجملة: أهل المدينة وفقهاء الحديث مانعون من أنواع الربا منعًا محكمًا، مراعون لمقصود الشريعة وأصولها، وقولهم في ذلك هو الذي يُؤثر مثله عن الصحابة، وتدل عليه معاني الكتاب والسنة. اهـ. (الفتاوى ٢٩/٣٠-٣١).

وقد فصَّل تلميذه العلامة ابن القيم القول في العينة والتورق، وأثبت هنا ما قاله بتمامه: قال عن العينة:

روى محمد بن عبد الله الحافظ المعروف بمطين في كتاب البيوع له عن أنس أنه سُئل عن العينة، فقال: إن الله لا يُخْدَع، هذا ما حرم الله ورسوله. وروى أيضًا في كتابه عن ابن عباس قال: اتقوا هذه العينة؛ لا تبع دراهم بدراهم وبينهما حريرة.

وفي رواية أن رجلاً باع من رجل حريرة بمائة، ثم اشتراها بخمسين، فسُئل ابن عباس عن ذلك، فقال: دراهم بدراهم متفاضلة دخلت بينهما حريرة. وسئل ابن عباس عن العينة - يعني بيع الحريرة - فقال: إن الله لا يُخْدَع، هذا مما حرم الله ورسوله، وروى ابن بطة بإسناده إلى الأوزاعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع» يعني العينة، وهذا المرسل صالح للاعتضاد به والاستشهاد، وإن لم يكن عليه وحده الاعتماد.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي إسحاق السبيعي عن امرأته: «أنها دخلت على عائشة - هي وأم ولد زيد بن أرقم، وامرأة أخرى - فقالت لها أم ولد زيد: إني بعت من زيد غلامًا بثمانمائة نسيئة، واشتريته بستمائة نقدًا، فقالت: أبلغي زيدًا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن يتوب، بئسما شريت، وبئسما اشتريت» رواه الإمام أحمد وعمل به. وهذا حديث فيه شعبة، وإذا كان شعبة في حديث فاشدد يديك به، فمن جعل شعبة بينه وبين الله، فقد استوثق لدينه.

Upload by: altawhedmag.com

وأيضًا فهذه امرأة أبي إسحاق السبيعي - وهو أحد أئمة الإسلام الكبار وهو أعلم بامرأته وبعدالتها، فلم يكن ليروي عنها سنة يحرّم بها على الأمة وهي عنده غير ثقة، ولا يتكلم فيها بكلمة، بل يحابيها في دين الله، هذا لا يُظن بمن هو دون أبي إسحاق، فكيف به؟!

وأيضًا فإن هذه امرأة من التابعين قد دخلت على عائشة وسمعت منها وروت عنها، ولا يعرف أحد قدح فيها بكلمة، وأيضًا فإن الكذب والفسق لم يكن ظاهرًا في التابعين بحيث تُرد روايتهم.

وأيضًا فإن هذه المرأة معروفة، واسمها العالية، وهي جدة إسرائيل: كما رواه حرب من حديث إسرائيل: حدثني أبو إسحاق عن جدته العالية - يعني جدة إسرائيل - فإنه إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق، والعالية امرأة أبي إسحاق، وجدة يونس، وقد حملا عنها هذه السنة، وإسرائيل أعلم بجدته وأبو إسحاق أعلم بامرأته.

وأيضًا فلم يعرف أحد قط من التابعين أنكر على العالية هذا الحديث، ولا قدح فيه من أجلها، ويستحيل في العادة أن تروي حديثًا باطلاً ويشتهر في الأمة ولا ينكره عليها منكر.

وأيضًا فلو لم يأت في هذه المسألة أثر لكان محض القياس ومصالح العباد وحكمة الشريعة تحريمها أعظم من تحريم الربا، فإنها ربا مستحل بأدنى الحيل.

وأيضًا فإن في الحديث قصة، وعند الحُفاظ إذا كان فيه قصة دلهم على أنه محفوظ، قال أبو إسحاق: حدثتني امرأتي العالية، قالت: «دخلت على عائشة في نسوة، فقالت: ما حاجتكن؟ فكان أول من سألها أم محبة، فقالت: يا أم المؤمنين هل تعرفين زيد بن أرقم؟ قالت: نعم. قالت: فإني بعته جارية لي بثمانمائة درهم إلى العطاء، وإنه أراد بيعها، فابتعتها منه بستمائة درهم نقدًا، فأقبلت عليها وهي غضبى، فقالت: بئسما شريت، وبئسما اشتريت، أبلغي زيدًا أنه قد أبطل جهاده إلا أن يتوب». وأفحمت صاحبتنا، فلم تتكلم طويلاً، ثم إنها سهل عليها فقالت: «يا أم المؤمنين، أرأيت إن لم يكن آخذ إلا رأس مالي؟ فتلت عليها: «فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ» [البقرة: ٢٧٥].

وأيضًا فهذا الحديث إذا انضم إلى تلك الأحاديث والآثار أفادت بمجموعها الظن الغالب إن لم تفد اليقين.

وكذلك فإن آثار الصحابة كما تقدم موافقة لهذا الحديث، مشتقة منه مفسرة له، كما أنه لا يليق بالشريعة الكاملة التي لعنت آكل الربا ومؤكله، وبالغت في تحريمه، وآذنت صاحبه بحرب من الله ورسوله، أن تبيحه بأدنى الحيل مع استواء المفسدة، ولولا أن عند أم المؤمنين رضي الله عنها علمًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستريب فيه ولا تشك به بتحريم مسألة العينة لما أقدمت على الحكم بإبطال جهاد رجل من الصحابة باجتهادها، لاسيما إن كانت قصدت أن العمل يبطل بالردة، واستحلال الربا ردة، ولكن عذر زيد أنه لم يعلم أن هذا محرم، كما عذر ابن عباس بإباحته بيع الدرهم بالدرهمين، وإن لم يكن قصدها هذا، بل قصدت أن هذا من الكبائر التي يقاوم إثمها ثواب الجهاد، ويصير بمنزلة من عمل حسنة وسيئة بقدرها فكأنه لم يعمل شيئًا، ولو كان هذا اجتهادًا منها لم تمنع زيدًا منه، ولم تحكم ببطلان جهاده، ولم تدعه إلى التوبة؛ فإن الاجتهاد لا يحرم بالاجتهاد، ولا يحكم ببطلان عمل المسلم المجتهد بمخالفته لاجتهاد نظيره، والصحابة - ولاسيما أم المؤمنين - أعلم بالله ورسوله وأفقه في دينه من ذلك.

وأيضًا فإن الصحابة كعائشة وابن عباس وأنس أفتوا بتحريم مسألة العينة، وغلظوا فيها هذا التغليظ في أوقات ووقائع مختلفة، فلم يجئ عن واحد من الصحابة ولا التابعين الرخصة في ذلك، فيكون إجماعًا.

فإن قيل: فزيد بن أرقم قد خالف عائشة ومن ذكرتم، فغاية الأمر أنها مسألة ذات قولين للصحابة، وهي مما يسوغ فيها الاجتهاد؟

قيل: لم يقل زيد قط: إن هذا حلال، ولا أفتى به يومًا ما، ومذهب الرجل لا يُؤخذ من فعله؛ إذ لعله فعله ناسيًا أو ذاهلاً، أو غير متأمل ولا ناظر أو متأملاً، أو ذنبًا يستغفر الله منه ويتوب، أو يصر عليه وله حسنات تقاومه فلا يؤثر شيئًا، قال بعض السلف: العلم علم الرواية، يعني أن يقول: رأيت

Upload by: altawhedmag.com

فلانًا يفعل كذا وكذا، إذ لعله قد فعله ساهيًا، وقال إياس بن معاوية: «لا تنظر إلى عمل الفقيه، ولكن سله يصدقك»، ولم يُذكر عن زيد أنه أقام على هذه المسألة بعد إنكار عائشة، وكثيرًا ما يفعل الرجل الكبير الشيء مع ذهوله عما في ضمنه من مفسدة، فإذا نُبِّه انتبه، وإذا كان الفعل محتملاً لهذه الوجوه وغيرها لم يجز أن يقدم على الحكم، ولم يجز أن يقال: مذهب زيد بن أرقم جواز العينة، لاسيما وأم ولده قد دخلت على عائشة تستفتيها فأفتتها بأخذ رأس مالها، وهذا كله يدل على أنهما لم يكونا جازمين بصحة العقد وجوازه وأنه مما أباحه الله ورسوله.

وأيضًا فبيع العينة إنما يقع غالبًا من مضطر إليها، وإلا فالمستغني عنها لا يشغل ذمته بألف وخمسمائة في مقابلة ألف بلا ضرورة وحاجة تدعو إلى ذلك.

وقد روى أبو داود من حديث عليٍّ: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر، وبيع الغرر، وبيع الثمرة قبل أن تدرك» [ضعفه الألباني في ضعيف المشكاة ٢٨٦٥، وضعيف الجامع الصغير ٦٠٦٣].

وفي مسند أحمد عنه قال: «سيأتي علينا زمان عضوض يعض الموسر على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك، قال تعالى: «وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» [البقرة: ٢٣٧]، وينهر الأشرار، ويستذل الأخيار، ويبايع المضطرون. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر، وعن بيع الغرر، وبيع الثمر قبل أن يطعم.

وله شاهد من حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه سعيد عن هشيم عن كوثر بن حكيم عن مكحول: بلغني عن حذيفة أنه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن بعد زمانكم هذا زمانًا عضوضًا، يعض الموسر على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى: «وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ» [سبأ: ٣٩]، وينهد شرار خلق الله (أي يعلو شأنهم)، يبايعون كل مضطر، ألا إن بيع المضطر حرام، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخونه، وإن كان عندك خير فعد به على أخيك ولا تزده هلاكًا إلى هلاكه. مسند أحمد وإسناده ضعيف.

وهذا من دلائل النبوة، فإن عامة العينة إنما تقع من رجل مضطر إلى نفقة يضن بها عليه الموسر بالقرض حتى يربح عليه في المائة ما أحب. اهـ.

هذا حديث ابن القيم عن العينة. وانتقل بعد هذا للحديث عن التورق فقال: هذا المضطر إن أعاد السلعة إلى بائعها فهي العينة، وإن باعها لغيره فهو التورق، وإن رجعت إلى ثالث يدخل بينهما فهو محلل الربا، والأقسام الثلاثة يعتمدها المرابون، وأخفها: التورق، وقد كرهه عمر بن عبد العزيز وقال: هو آخية الربا.

وعن أحمد فيه روايتان، وأشار في رواية الكراهة إلى أنه مضطر، وهذا من فقهه رضي الله عنه، قال: فإن هذا لا يدخل فيه إلا مضطر، وكان شيخنا - أي ابن تيمية - رحمه الله يمنع من مسألة التورق، ورجع فيها مرارًا وأنا حاضر، فلم يرخص فيها، وقال: المعنى الذي لأجله حرم الربا موجود فيها بعينه مع زيادة الكلفة بشراء السلعة وبيعها، والخسارة فيها، والشريعة لا تحرِّم الضرر الأدنى وتبيح ما هو أعلى منه. اهـ. [إعلام الموقعين ٣/ ٢٢٠- ٢١٥].

وقال العلامة المناوي بعد شرحه لحديث: «إذا تبايعتم بالعينة»: وهذا دليل قوي لمن حرم العينة، ولذلك اختاره بعض الشافعية، وقال: أوصانا الشافعي باتباع الدليل إذا صح بخلاف مذهبه.

وأحب أن أشير هنا إلى مذهب الشافعية في تصحيح العقود: فهم يقولون مثلاً: التدليس حرام، وإذا وقع البيع فالعقد صحيح، ويرون صحة بيع التلجئة، والسلاح في الفتنة، والعنب لمن يتخذه خمرًا، وزواج التحليل، وهكذا.

فهم لا يُدخلون النيات في العقود، فما دام العقد قد استوفى الشكل الظاهري فهو صحيح - وإن قصد منه الحرام - أي إن آثار العقد تترتب عليه وإن كان حرامًا، وليس معنى هذا أنهم يحلون الحرام - وحاشاهم - ولكنهم يجعلون ما يتعلق بالنية حسابه عند الله عز وجل، ويحكمون على العقود بظاهرها.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

Upload by: altawhedmag.com

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

المقاصد

الحلقة (٤٢)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

ما يزال حديثنا متصلاً عن طرق معرفة المقاصد، وقد ذكرنا منها خمسة عناصر في الأعداد السابقة، وهي: مجرد الأمر والنهي، اعتبار علل الأمر والنهي، اعتبار المقاصد التابعة، سكوت الشارع، الاستقراء، ونستأنف البحث:

سادسًا: اللغة العربية:

«إن الشريعة عربية، فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم، فإذا فرضنا مبتدئًا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا، فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة، فكان فهمه فيها حجة، كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء». [الموافقات للشاطبي بتصرف يسير ٥/٥٣].

فالقرآن نزل بلغة العرب، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة.

فمن هنا كان أهمية النظر إلى مقاصد الشريعة في ضوء اللغة العربية، وفي ضوء المعهود من لسان العرب وأساليبها.

يقول الشافعي: «فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها: اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عامًا، ظاهرًا، يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره.

وعامًا ظاهرًا يراد به العام ويدخل الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعامًا ظاهرًا يراد به الخاص، وظاهرًا يعرف في سياق أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره». [الرسالة للشافعي ص٥٢].

ثم قال: «وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تعرف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به، دون أهل جهالتها، وتسمّى الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمى بالاسم الواحد المعاني الكثيرة». [السابق ص٥٢].

أمثلة:

١- العام الذي لا يدخله التخصيص:

Upload by: altawhedmag.com

في قوله تعالى: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» [الرعد: ١٦]. وقوله تعالى: « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » [إبراهيم: ٣٢].

وقوله تعالى: «وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ » [هود: ٦].

ففي الآيات عموم لا يدخله الخصوص، فالله تعالى خلق كل شيء من سماء وأرض وذي روح وشجر وغير ذلك، وكل دابة فعلى الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها.

٢- العام الذي يدخله التخصيص:

في قوله تعالى: « مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ» [سورة التوبة: ١٢٠]. فالآية عامة تشمل كل أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، لكن يدخلها التخصيص، أن الخطاب هنا موجّه لمن يستطيع الجهاد، أما من لا يستطيعه فهو غير مخاطب بالآية.

وفي قوله تعالى: «وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا» [النساء: ٧٥].

القرية الظالم أهلها: هذا عام في ظاهره يشمل أهل كل القرية، لكن يدخلها التخصيص لأن كل أهل القرية لم يكن ظالمًا، قد كان فيهم المسلم، لكنهم كانوا أقل من عدد الكافرين.

٣- النص الذي يجمع بين العام والخاص.

قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » [الحجرات: ١٣]، فقد جمعت الآية بين العام والخاص، فأما العام فهو الخطاب لكل الناس من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعده، فالكل مخلوق من ذكر وأنثى، والكل جعل الله منه شعوبًا وقبائل.

وأما الخاص، ففي قوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» [الحجرات: ١٣]. لأن التقوى هنا تكون للعاقل البالغ، فهو المكلف بتحمل أمانة التقوى ومسئول عنها.

وفي الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق» [صحيح سنن النسائي].

٤- العام الذي يُراد به الخاص:

قال الله تعالى: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» [آل عمران: ١٧٣].

فالمقصود من الناس في الموضعين بعضهم وليس كل الناس، ففي لفظ الناس الأول: القائل هم بعض المنافقين، و«الناس» الكثير هم كفار مكة المنصرفون من أحد.

فالناس لفظ عامة: قد تأتي على عمومها، كمثل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» [الحج: ١].

وأحيانًا كثيرة يراد بها الخصوص – كما بالمثال السابق – وكما في قوله تعالى: « أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ » [النساء: ٥٤].

فالناس في الآية يمثل بها الأصوليون على العام الذي أُريد به الخصوص، إذ المقصود هو النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي سورة الزخرف: «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» [الزخرف: ٣١].

وما قولهم في هذه الآية إلا حسدًا للنبي صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله.

٥- معرفة المعنى من السياق في قوله تعالى: «وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ» [الأنبياء: ١١- ١٢].

فالقرية في الآية لا تعرف معناها المقصود على الحقيقة إلا بسياق الآيات، إذ تحمل أن الله دمر منازل القرية، وهذا هو ظاهر اللفظ، لكن لما ذكر أنها كانت ظالمة، وأنهم يحسون، وأنهم يركضون، علمنا أن المعنى هم أهل القرية وليس المنازل.

٦- العام الذي خُصّص بالسنة:

بعد أن ذكر الله فرائض المواريث، قال الله تعالى: «مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ» [النساء: ١٢]، فالوصية لفظ عام، لكن النبي صلى الله عليه وسلم خصصها بالثلث فقط، وذلك في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

Upload by: altawhedmag.com

مرض في عام الفتح وأشفى على الموت وعاده النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه قال: يا رسول الله، إنه لي مالاً كثيرًا وليس يرثني إلا ابنتي أفأوصي بمالي كله، قال: لا، قلت: فثلثي مالي؟ قال: لا. قلت: فالشطر؟ قال: لا. قلت: فالثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير. [متفق عليه]. أما الثلثان فللورثة، وكذلك بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدَّيْن قبل الوصية والميراث.

- ومن لغة العرب وأساليبها: الاشتراك، والترادف، فالاشتراك: هو أن يتعدد المعنى دون اللفظ، إلا أن اللفظ الواحد يدل على معنيين أو أكثر، كلفظة: العين، فإنه يصدق على الذهب، وعلى عيني الإنسان، وعلى الجاسوس، وعين الماء...

والاشتراك واقع في الأسماء، مثل: القرء: للحيض، وفي الأفعال: مثل: عسعس: أقبل وأدبر.

وفي الحروف كالباء فإنها تاتي للتبعيض ولِبيان الجنس، ويجوز أن يُحمل المشترك على كِلَيْ معنييه إذا أمكن ذلك.

أما الترادف (عكس الاشتراك): هو أن يتعدد اللفظ دون المعنى، وهو يقع أيضًا في الأسماء: كالأسد والليث والسبع.

وفي الأفعال: مثل: قعد، جلس.

وفي الحروف: مثل: إلى، حتى.

وهذا الترادف سببه إما تعدد الوضع (وهو أصل وضع الكلمة)، أو توسيع دائرة التعبير وتكثير وسائله، وهذا يسهّل كتابة الشعر والنثر.

يقول الشوكاني: ذهب الجمهور إلى إثبات الترادف في اللغة العربية، وهو الحق. [إرشاد الفحول ١/٥٦].

وكلام العرب ينقسم إلى نص وظاهر ومجمل.

١- النص: وهو ما يدل على معنى واحد لا يحتمل غيره، ومثاله: قوله تعالى: «فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ» [البقرة: ١٩٦]، فقوله: ثلاثة أيام، وسبعة، تلك عشرة كاملة: كل واحدة من الثلاث تسمى نصًا، لا تحتمل إلا معنى واحدًا فقط.

(مع ملاحظة أن النص يطلق على كل آية قرآنية أو حديث نبوي).

٢- الظاهر: وهو ما احتمل معنيين فأكثر، يكون في أحدهما أو أحدها أرجح.

فكلمة الأسد: ظاهرها يدل على الحيوان المفترس المعروف، لكن قد تحتمل أن يراد بها الرجل الشجاع، إذا جاءت قرينة تنقل المعنى من المعنى الظاهر إلا المعنى المحتمل، وإلا فالقاعدة عدم صرف اللفظ عن ظاهره إلا بدليل.

وهذا الصرف عن المعنى الظاهر إلى غيره، يُسمَّى بالتأويل.

فالتأويل: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل يدل على ذلك.

مثاله قوله تعالى: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ» [المائدة: ٦]، فصرفت عن ظاهرها وهو القيام للصلاة، وأُوِّلت إلى: إذا أردتم القيام، لدليل أن الصلاة لا تصح إلا بوضوء قبلها.

٣- المجمل: وهو ما احتمل معنيين أو أكثر، من غير ترجُّح لواحد منهما أو منها على غيره.

مثال ذلك: القُرء، إذ هو متردد بين الحيض والطهر، وهذا يحتاج إلى «بيان».

البيان: هو الدليل الذي يوضح الإجمال، فيدخل فيه التقييد للمطلق، والتخصيص للعام، والنسخ، والتأويل.

ويحصل هذا البيان بنص من القرآن، أو من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، (قوله، فعله، كتابته، إشارته، إقراره، سكوته، تركه).

[المجمل عند السلف هو: ما لا يكفي وحده في العمل، كقوله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا» [سورة التوبة: ١٠٣] كيفية هذه الصدقة وشروطها ونصابها... إلى غير ذلك، إنما عُرِف من سنة النبي صلى الله عليه وسلم).

- فلا بد من الوقوف على مباحث اللغة العربية- حتى نتمكن من فهم مقاصد التشريع، ولا نخطئ في فهم الشرع أو ننحرف عنه.

فقد رد الشاطبي أهم أسباب الابتداع والانحراف في الدين إلى أسباب رئيسة، هي: الجهل، وتحسين الظن بالعقل، واتباع الهوى.

Upload by: altawhedmag.com

فقال: وذلك أنَّ الإحداث في الشريعة إنما يقع من جهة الجهل، وإما من جهة تحسين الظن بالعقل، وإما من جهة اتباع الهوى في طلب الحق، وهذا الحصر بحسب الاستقراء من الكتاب والسنة.

ثم قال: فأما جهة الجهل فتارة تتعلق بالأدوات التي تُفهم بها المقاصد، والأدوات التي تُعرف بها المقاصد هي اللغة العربية. [الاعتصام ١/٨٠٤].

إن إجادة اللغة العربية ركن من أركان الاجتهاد، كما تقرر ذلك عند الأصوليين، وفي مقدمتهم الإمام الشافعي يرحمه الله.

وذلك لأن المجتهد في استنباطه الأحكام يعتمد على العناصر التالية:

١- المعرفة بالأدلة السمعية التي تؤول إلى الكتاب والسنة والإجماع، وما اختلف فيه العلماء من الأصول الأخرى.

٢- التأكد من دلالة اللفظ في اللغة العربية وفي استعمال البلغاء، وهذه الدلالة إما بالمنطوق أو بالمفهوم أو بالمعقول وهو القياس، وأنواع الاستدلال المختلف في حجيتها بين الأئمة.

٣- القدرة على الموازنة بين الأدلة واختيار أرجحها وأقواها من دونه. [مقدمة الموافقات لمشهور بن حسن بتصرف].

فإن القرآن والسنة لما كانا عربيين لم يكن لينظر فيهما إلا عربي، كما أن من لم يعرف مقاصدهما لم يحل له أن يتكلم فيهما؛ إذ لا يصح له نظر حتى يكون عالمًا بهما، فإنه إذا كان كذلك لم يختلف عليه شيء من الشريعة. [فالاختلاف منشؤه أحد أمرين: ضعف في اللغة العربية واستعمالاتها، أو جهل بمقاصد الشريعة، أو هما معًا].

مثال ذلك لما سأل نافع بن الأزرق، ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: «فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ» [المؤمنون: ١٠١]، «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ» [الصافات: ٢٧].

ففي الأولى نفي التساؤل، وفي الثانية إثباته.

قال ابن عباس: لا يتساءلون، في النفخة الأولى، ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الأخرى، يقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

وقال نافع: وقوله: «بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا» [النازعات: ٢٧] إلى قوله: «وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ» [النازعات: ٣٠]، فذكر في الآية خلق السماء قبل خلق الأرض. ثم قال في الآية الأخرى: «أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ» [فصلت: ٩] إلى أنه قال: «ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ» [فصلت: ١١]. فذكرها خلق الأرض مثل خلق السماء؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الأرض في يومين ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض، أي أخرج الماء والمرعى، وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين، فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين.

ثم قال ابن عباس: فإن الله لم يرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله.

فنافع الأزرق أتى من عدم معرفته باللغة العربية، وبالشرع ومقاصده، وهكذا سائر ما يطعن به الطاعنون، أو يُشكل على بعضهم، من هذا الباب، «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا» [النساء: ٨٢]. (الموافقات بتصرف ٣/٢١٣- ٢١٦].

مسألة: هل لا بد من الاتفاق التام للغة العربية؟

يقول الغزالي: إنه القدر الذي يفهم به خطاب العرب وعادتهم في الاستعمال، حتى يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله وحقيقته ومجازه وعامه وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه، ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه. [المستصفى للغزالي ١/٣٤٤].

ويعلق الشاطبي على ذلك فيقول: وهذا الذي اشترط لا يحصل إلا لمن بلغ في اللغة العربية درجة الاجتهاد. (الموافقات ٥/٥٥).

ثم قال الغزالي: والتحقيق فيه أنه لا يشترط أن يبلغ مبلغ الخليل والمبرد وأن يتعلم جميع اللغة ويتعمق في النحو. [المستصفى ١/٣٤٤].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

معركة النهروان ٣٨هـ

إعداد/ أسامة سليمان



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن فرقة الخوارج تُطلق على أولئك النفر الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأنكروا عليه قبول التحكيم مع معاوية رضي الله عنه، وتبرؤوا منه، ومن عثمان رضي الله عنه، وقاتلوهم، ورموهم بالكفر بل امتد تكفيرهم إلى أبي موسى الأشعري، ويكفرون أهل المعاصي ويَخْرُجون على أئمة الجور، ويقولون بخلود صاحب الكبيرة في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش.

ولهم ألقاب أخرى عُرفوا بها منها: الحرورية؛ لنزولهم بحروراء في أول أمرهم، والشراة لقولهم: شرينا أنفسنا في سبيل الله، أي بعناها، ومنها المارقة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» أخرجه مسلم. ومنها المحكمة لإنكارهم الحَكَمين: عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري، وقولهم: لا حكم إلا لله.

والخوارج والرافضة حدثوا في الفتنة الأولى، ونقصد بها فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه. [شرح الطحاوية ص٥٦٣].

وأول الخوارج وأقبحهم حالةً هو ذو الخويصرة التميمي الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود» أخرجه البخاري ومسلم.

والنصوص الواردة في وصفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين أنهم يُقاتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الكفر والعصيان؛ وذلك لسفاهة عقولهم وحداثة سنهم وسوء فهمهم، ليس لهم من الإيمان إلا النطق، فإيمانهم محصور في نطقهم لا يجاوز حناجرهم وتراقيهم، وهم شر الخلق والخليقة، كما ورد في النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم. [راجع صحيح مسلم ٧٥٠/٢].

وبعد تفرق أبي موسى وعمرو بن العاص على غير رضا الخوارج في قضية التحكيم، كتب علي رضي الله عنه إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان أن يعودوا إلى ما كانوا عليه، ويسيروا معه إلى قتال أهل الشام، فأبوا وقالوا له: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب. [راجع أنساب الأشراف ٦٣/٢].

وبعد اجتماعهم في النهروان كانت له شوكة ومَنَعة، فأخذ علي رضي الله عنه عليهم شروطًا، منها:

١- ألا يسكفوا دمًا، ولا يروّعوا آمنًا، ولا يقطعوا سبيلاً؛ وإلا نابذهم الحربَ.

بيد أنهم خالفوا الشروط وارتكبوا المحرمات بسفك الدماء المحرمة، وقتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سال دمه في ماء النهر، وبقروا بطن جاريته وهي حبلى. [راجع تاريخ بغداد ٢٠٥/١].

Upload by: altawhedmag.com

ومع فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات، لم يبادر علي رضي الله عنه لقتالهم، بل أرسل إليهم ليسلموا قتلة عبد الله بن خباب وجاريته لإقامة الحد عليهم، لكنهم أبوا وأجابوا بعناد واستكبار وقالوا: كلنا قتلة، فسار إليهم بجيشه الذي كان قد أعده لقتال أهل الشام، وذلك في شهر الله المحرم سنة ٣٨هـ، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان. [راجع تاريخ بغداد ٢٠٥/١].

محاولات وأد الفتنة:

وحاول علي رضي الله عنه أن يُرجعهم وناشدهم العودة، لكنهم رفضوا وركبوا رءوسهم، فأرسل إليهم البراء بن عازب يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا، ليس هذا فحسب، بل أرسل إليهم رسله تترى، لكنهم قتلوا رسله، واجتازوا نهر النهروان فقطعوا المحاولات التي سعت إلى الصلح، وقطعوا الأمل في حفظ الدماء، عند ذلك جهَّز علي رضي الله عنه جيشه وحرَّضهم على القتال، وأخبرهم أن هؤلاء الذين عناهم رسول الله بقوله: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن ويحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». وبيّن علي رضي الله عنه لجيشه أن علامة هؤلاء أن فيهم رجلاً له عضدٌ وليس له ذراع، على رأس عضده مثل الثدي عليه شعيرات بيضاء... [راجع صحيح مسلم ٧٤٨/٢].

وقبل نشوب القتال أمر علي رضي الله عنه أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية الأمان للخوارج، ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، وإنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، وجرت محاولات من علي رضي الله عنه لحقن الدماء، فعاد من الخوارج النفر الكثير، ولم يبق منهم سوى ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي هم الذين قاتلوا عليًا وأصحابه. [راجع تاريخ الخلافة الراشدة ص٤٢٥].

وزحف الخوارج إلى علي، وقدم رضي الله عنه الخيل بين يديه، وصف الرجال خلف الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا أيديكم حتى يبدؤكم، فاقبل الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، وحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي رضي الله عنه، عند ذاك كان لا بد من مواجهتهم وقتالهم، فصاروا صرعى تحت سيوف جيش علي وسنابك الخيول، وقُتل أمراؤهم، وأسفرت المعركة عن قتل عدد من الخوارج ليس بالقليل، ولم يقتل من جيش علي سوى رجلين فقط، وفي رواية: اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلا. [راجع مصنف ابن أبي شيبة ٣١١/٧].

مقتل ذي الخويصرة:

وبعد انتهاء القتال وجد عليّ رضي الله عنه ذا الخويصرة في قتلى الخوارج، فقال عليّ رضي الله عنه: الله أكبر، وسجد لله شكرًا، وكبّر الجميع، واستبشروا بأنهم على الحق كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

معاملة علي للمخالفين:

والمتأمل في معاملة علي رضي الله عنه للخوارج بعد القتال يجد رحمته بالمخالفين، وحرصه على حقن الدماء، فقد أصدر أوامره للجنود بألا يتبعوا مدبرًا أو يُجْهِزوا على جريح، أو يمثلوا بقتيل، بل إنه لم يكفرهم، فقد حاول إرجاعهم إلى جماعة المسلمين قبل القتال، لكنهم أصروا على القتال؛ لأن مقصوده رضي الله كفهم ودفع شرِّهم لا قتلهم.

حكم الخوارج:

الخوارج فرقة من المسلمين كما ذكر ذلك ابن حجر في «الفتح» وغيره من علماء المسلمين. [راجع فتح الباري ٣٠٠/١٢].

ولذا فإن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سماهم الفاسقين، وقال: الحرورية هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ × الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وقال عنهم: هم قد زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. [راجع مصنف ابن أبي شيبة ٣٢٤/١٥].

ولما سُئل علي رضي الله عنه أكفارٌ هم؟ قال: هم من الكفر فرّوا. فقيل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم، أصابتهم فتنة فعموا وصموا، ولذا قال: لجنوده في حق الخوارج: إن قاتلوا إمامًا عادلاً فقاتلوهم، وإن قاتلوا هم إمامًا ظالمًا، فلهم في ذلك مقال». [راجع فتح الباري ٣٠١/١٢].

وقد فرح علي رضي الله عنه بقتالهم بعكس موقفه في الجمل وصفين، قال شيخ الإسلام: إن النص والإجماع فرّقا بين هذا وهذا؛ فإن عليًا قاتل الخوارج بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينازعه أحد من الصحابة، أما في الجمل وصفين فقد ظهر منه كراهة والندم على ما وقع. [مجموع الفتاوى ٥١٦/٢٨].

وختامًا نذكر بعض صفات الخوارج التي ذكرها أهل العلم؛ تحذيرًا من طريقهم وتجنبًا لهديهم:

١- الغلو في الدين.

٢- الجهل بالدين.

٣- شق عصا الطاعة ومخالفة الجماعة.

٤- التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم.

٥- تجويزهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يجوز في حقه.

٦- الطعن والتضليل في أئمة الهدى والعدل.

٧- سوء الظن بالأخيار العدول.

٨- الشدة على المسلمين، والغلظة والجفوة مع المخالفة.

والله من وراء القصد.

Upload by: altawhedmag.com

أحكام قنوت النوازل في الفقه الإسلامي

الحلقة الثانية

إعداد/ د. عبود بن علي بن درع

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فما يزال الحديث موصولاً حول أحكام قنوت النوازل في الفقه الإسلامي، فقد تكلمنا في العدد السابق عن أسباب ما يصيب المسلمين من مآس وبلايا متكررة، وذكرنا أن أهم أسباب نزول المصائب والمحن: الابتلاء والعقاب، ونكمل فنقول مستعينين بالله تعالى:

التعريف بقنوت النوازل والحكمة من مشروعيته

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القنوت في اللغة والاصطلاح:

أ- القنوت في اللغة: يُطلق على معان عدة، منها:

١- الطاعة والقيام بأمر الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: « وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ » [الروم: ٢٦].

٢- دوام الطاعة، يقال: أقنت: إذا أدام الحج، أو أطال الغزو.

٣- الدعاء. يقال: قنت له وقنت عليه. والقانت: الداعي.

٤- الصلاة، ومن ذلك قوله تعالى: « يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ » [آل عمران: ٤٣]. أي: صلي خاشعة لله.

٥- طول القيام، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصلاة طول القنوت» [مسلم ١/٥٢٠] أي طول القيام.

٦- السكوت، ومنه ما روى زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «كنا نتكلم في الصلاة، يكلم أحدنا صاحبه في حاجته، حتى نزل قوله تعالى: «وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ» [البقرة: ٢٣٨] فأمرنا بالسكوت. [متفق عليه].

٧- الخشوع، ومن ذلك قوله تعالى: «وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ» [البقرة: ٢٣٨] أي خاشعين ذليلين.

وفي معجم مقاييس اللغة: «القاف والنون والتاء أصل صحيح يدل على طاعة وخير في دين، لا يعدو هذا الباب، والأصل فيه الطاعة، يقال: قنت يقنت قنوتًا، ثم سُمي كل استقامة في طريق الدين قنوتًا، وقيل لطول القيام في الصلاة قنوت، وسمي السكوت في الصلاة والإقبال عليها قنوتًا» [مقاييس اللغة ٥/٣١].

هذه هي أهم معاني القنوت في اللغة، وهي مُنَزَّلة على الطاعة والخضوع لله عز وجل مع دوام العبودية، والإنابة والخضوع لأوامر الله سبحانه.

٢- تعريف القنوت في الاصطلاح:

القنوت في اصطلاح العلماء هو: اسم للدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام، ويستعمل الفقهاء كلمة «يقنت» بمعنى يدعو بدعاء القنوت، وأما قولهم دعاء القنوت فالمراد به: دعاء القيام، وإنما قيل لذلك الدعاء قنوتًا؛ لأن الداعي إنما يدعو به قائمًا، فسُمي قنوتًا باسم القيام.

المبحث الثاني: تعريف النوازل في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: النوازل جمع نازلة، والنازلة: اسم فاعل من نزل ينزل إذا حل، وقد أصبح اسمًا على الشدة من شدائد الدهر.

والنوازل في الاصطلاح: ترد لفظة النازلة عند الفقهاء لأحد معنيين:

الأول: المعنى اللغوي وهي الحوادث والمصائب التي تفتك بالناس من أوبئة ومجاعات وحروب وفتن، وهذا المعنى يُذْكر في أبواب الوتر والقنوت.

الثاني: المعنى العام: وهي المسائل والقضايا التي تستوجب حكمًا شرعيًا، لكن دون وضع مصطلح جامع مانع يبين حدوده والمراد منه، وهذا المعنى يُذكر في الغالب في

Upload by: altawhedmag.com

أبواب الاجتهاد والفتوى.

المراد بقنوت النوازل: الدعاء المناسب للواقعة الشديدة في الصلاة في محل مخصوص من القيام.

شرح التعريف (الدعاء المناسب للواقعة الشديدة): ويخرج دعاء القنوت الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم الحسن رضي الله عنه، فإنه ليس مشروطًا بالنوازل.

«والمحل المخصوص» الذي عليه أكثر أهل العلم أن القنوت بعد الركوع، وإن قنت قبل الركوع فلا حرج.

«من القيام»: أي فيقنت وهو قائم في الصلاة على ما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث: الحكمة من مشروعية قنوت النوازل:

إن الأمة الإسلامية تمر بها نوازل وبلايا، وفتن ورزايا، وما إن تنقضي نازلة حتى تجيء فاجعة تطيش لها عقول المؤمنين وأفئدتهم، نوازل يُنسي آخرُها أولَها، وتجعل الحليم حيران، ولا تنتهي حتى تكون لها حِكَم عظيمة وفوائد جليلة.

أولاً: فمن الحكم العظيمة: الاقتداء بسيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام في سيرته في التعامل مع هذه النوازل، فقد ثبت عنه في أحاديث كثيرة صحيحة مشروعية قنوت النوازل، وبيان محله، وما يقول فيه وغير ذلك وقد قال تعالى: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » [الأحزاب: ٢١]، فالخير والنصر في اتباعه، والسير على نهجه، واقتفاء أثره، وخاصة في مثل هذه الشدائد المدلهمة والخطوب العسيرة كنزول عدو، أو خوف أو قحط، أو وباء، أو ضرر ظاهر في المسلمين، ففي القنوت - والحال هذه - إحياء لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثانيًا: أن فيه اهتمامًا بأمر المسلمين، ورغبة في حل مشاكلهم، وفرحًا لفرحهم، وحزنًا لحزنهم، قال صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». [مسلم: ٤/١٥٨٧، ٢٥٨٦].

ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

ثالثًا: أن فيه تعريف المسلمين في البلاد الإسلامية بأحوال إخوانهم في كل مكان، كما أن فيه إشعارًا للمستضعفين من المسلمين بأن إخوانهم معهم، ويحسون بالألم الذي يتجرعونه، وهذا يزيد من أواصر المودة والمحبة بين المسلمين.

رابعًا: أن فيه عبادة الله بالدعاء، ولاسيما في الصلاة، فعندما يُسمع دعاء القنوت يتنبه الغافلون واللاهون بأن الأمر شديد، وأن الكرب عظيم، فيلجأون إلى الدعاء والانكسار بين يدي العزيز الغفار، لعله يصرف عنهم هذا البلاء فيتوبون ويستغفرون، فيكشف الله الكربة، ويزيل الهمّ والغم: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ » [الرعد: ١١].

المبحث الرابع: الحكمة في جعل القنوت للنازلة في الاعتدال بعد الركوع:

قال ابن حجر رحمه الله: «ظهر لي أن الحكمة في جعل القنوت للنازلة في الاعتدال دون السجود، مع أن السجود مظنة الإجابة، كما ثبت: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». [مسلم: ٤٨٢]، وثبوت الأمر بالدعاء فيه أن المطلوب من قنوت النازلة أن يشارك المأموم الإمام في الدعاء ولو بالتأمين، ومن ثم اتفقوا على أن يجهر به، بخلاف القنوت في الصبح، فاختُلف في محله، وفي الجهر به».

المبحث الخامس: الفرق بين قنوت الوتر وقنوت النوازل:

١- أن قنوت الوتر يصح أن يداوم عليه، وإن كان الأفضل الترك أحيانًا.. أما قنوت النوازل فلا يُداوم عليه إلا أثناء حدوث نازلة.

٢- أن قنوت الوتر له دعاء مأثور، أما النوازل فيختار من الدعاء ما يُناسب النازلة.

٣- أن قنوت الوتر محصور في صلاة الوتر، بينما قنوت النازلة يكون في أي صلاة مكتوبة.

٤- أن قنوت الوتر يُشرع في جميع السنة، أما النازلة فعند حدوثها فقط.

٥- أن قنوت الوتر يقوم به كل مُصَلٍّ، أما النوازل فلا يقنت فيها إلا الإمام الأعظم، أو من استنابه من أئمة مساجد المسلمين.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية، عدد ٩٣ لسنة ١٤٣٣ هـ

Upload by: altawhedmag.com

تدبر القرآن

إعداد / مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فلا شك أن تلاوة القرآن والاستماع له، والتدبر في آياته من أبر الأعمال وأفضل العبادات، متى رُوعيت عند تلاوته والاستماع له حرمته، وحفظت حقوقه، وصينت كرامته، وعُرفت منزلته، ولبس كل من التالي والسامع رداء الخشية والتوقير للمتلو والمسموع.

وحسب التالين من الفضل قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر: ٢٩- ٣٠].

وينبغي لقارئ القرآن أن يتخلق بأخلاق القرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن يكون عمله موافقا لما يتلو من أوامره، وأن يكون أبعد الناس عن نواهيه وزواجره، فليس يليق بمن يقرأ القرآن أن يقع في شيء من محارمه، أو يقصر في شيء مما أمر به، وأن يستحضر عند تلاوته أن يتلو كلام ربه، المنزل على رسوله للاهتداء والعمل والتدبر والذكرى؛ لتكون تلاوته أوقع في نفسه ونفوس السامعين، وليكون أقرب إلى الخشية عند التلاوة، فإنه متى استحضر في نفسه عظمة القرآن وعظمة من أنزله، وعظمة من نزل به، وعظمة من أنزل عليه، علته الخشية وغشيته الرحمة، وحفته الملائكة.

وينبغي للقارئ أيضًا أن يتذكر عظمة القرآن، وأنه كتاب جاء للهداية والإرشاد فليفرغ قلبه من الشواغل لتدبره، والاعتبار بما فيه، ولا يصرف نفسه عنه بمراعاة الألحان المحدثة والأنغام المبتدعة، وليكن حال القراءة والاستماع للقرآن في خشية وخشوع، متأملاً لما يُتلى من عظات بالغة وعِبَر نافعة، وليسأل نفسه عما يسمع من الأوامر: هل قام بها، ووفى حقها؟ فإن كان فليحمد الله، وإن رأى في نفسه تقصيرًا عالجه، وأخذ عليها العهد بالامتثال لما سمعت من الأوامر، والانتهاء عما يُتلى عليه من النواهي؛ ليكون القرآن حجة له ونورًا وهدى وشفاء لمرض نفسه، وجلاءً لصدأ قلبه.

معنى التدبر

معنى تدبر القرآن: هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به.

قال الطبراني رحمه الله في قوله تعالى: «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ» [ص: ٢٩]: «ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع، فيتعظوا ويعملوا به». اهـ.

وقال أبو بكر بن طاهر: «تدبر في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسرك بالإقبال عليه». [الجامع لأحكام القرآن ١٩/٣٨].

والتدبر يتعدى إلى المتأمل فيه بنفسه، يقال: تدبر الأمر. فمعنى «يتدبرون القرآن»: يتأملون دلالته. [التحرير والتنوير ٣/١٣٧].

أهمية تدبر القرآن:

تبرز أهمية تدبر القرآن الكريم في أمور كثيرة، وكل أمر كاف وحده أن يكون داعيًا لتدبر القرآن، والتأمل في معانيه، والتأثر عند قراءته، ولعل من أهمها الأمور التالية:

أولا: بركة القرآن:

وصف الله كتابه بأوصاف عظيمة منها أنه كتاب عزيز مبارك، وأنه نور وفرقان ورحمة وبرهان، وبصائر وشفاء، وهدًى وبشرى، قال الله تعالى: «هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ٢٠٣]، وكثيرًا ما يقرن الله هذه الأوصاف بالحث على التدبر والاعتبار والتذكر، قال الله سبحانه: «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ» [ص: ٢٩]، والمعنى: كتاب كثير الخير والبركة. [فتح القدير للشوكاني ٤/٤٣٠]، وقال عنه سبحانه: «قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» [المائدة: ١٥- ١٦].

ويقول سبحانه: «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ

Upload by: altawhedmag.com

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ويبين الآجري رحمه الله: بركة القرآن على العبد الذي أقبل على كتاب ربه بأدب واعتبار فيقول: «من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم، فإنه يُربحه الربح الذي لا بعده ربح، ويعرفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم أثر بركة القرآن وقوة تأثيره وتميزه عن باقي معجزات الأنبياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة». [رواه البخاري].

ثانيًا: حاجة القلب إلى تدبر القرآن:

إن في القلب حاجة لا يسدها إلا ذكر الله والتلذذ بكريم خطابه، وإن فيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بكتابه، وإن فيه قلقًا وخوفًا لا يؤمنه إلا السكون إلى ما بشر الله به عباده، وإن فيه فاقة لا يغنيها إلا التزود من حِكَم القرآن وأحكامه، وإن فيه لحيرة واضطرابًا لا ينجيه منها ويهديه إلى سواء الصراط إلا الاهتداء بنور ربه وبرهان كتابه العزيز قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]، وإن العبد المؤمن مهما بلغ من العلم مكانة ومن التقوى منزلًا، فإنه لا يستغني عن القرآن مثبتًا وهاديًا ومعينًا - ولذلك قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن لصلاح قلوبها، وثباتها على الهدى والدين».

والله سبحانه وتعالى - حينما عاتب الصحابة رضي الله عنهم - في خشوع قلوبهم، والتأثر بكلامه حذّرهم أن مغبة التمادي في هجر تدبر كتابه هي قسوة القلوب، فقال: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) [سورة الحديد آية: ١٦]. والتدبر حال سماع القرآن يزيد القلب نورًا وإيمانًا.

قال جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا». رواه ابن ماجه.

قال ابن القيم رحمه الله: «فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورّث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله».

وقال رحمه الله: «فليس أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع فيه الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر.. وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه.. وتعطيه قوة في قلبه، وحياةً وسعةً وانشراحًا وبهجة وسرورًا فيصير في شأن والناس في شأن آخر، فلا تزال معانيه تنهض بالعبد إلى ربه، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق، وتناديه كلما فترت عزماته، وونى في سيره: تقدم الركب وفاتك الدليل، وفي تأمل القرآن وتدبره أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحِكَم والفوائد». [مدارك السالكين ١/٤٥١].

ثالثًا: ذم من ترك تدبر القرآن ولم يتأثر به:

وقد ذم الله في كتابه حال من هجر تدبر القرآن، ولم يفقه الآيات، ولم يدبِّر القول في صيغ مختلفة، قال سبحانه: «أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ» [المؤمنون: ٦٨]، وقال سبحانه: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) [سورة الفرقان آية: ٣٠]، قال ابن كثير رحمه الله: «وترك تدبره من هجرانه». [تفسير ابن كثير ٦/١٠٨].

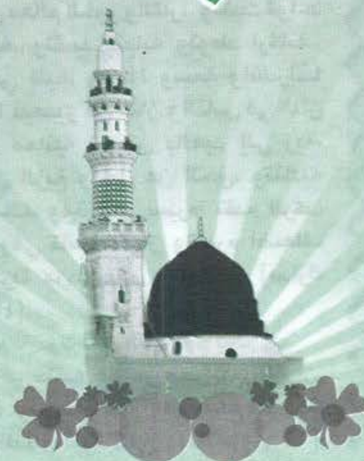
وقال القرطبي في تفسيره قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) [سورة محمد آية: ٢٤]: «عاتب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكر فيه وفي معانيه».

وقد عد العلماء التدبر للقرآن والوقوف عند أحكامه والاعتبار بأمثاله من النصح له، وقد تنوعت عباراتهم في ذلك فقد قال الإمام النووي رحمه الله في بيان النصح لكتابه: «قال العلماء رحمهم الله - النصيحة لكتاب الله تعالى: هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى... ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة.. والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه». [التبيان في آداب حملة القرآن ص١١٣].

جعلنا الله ممن يتلوه حق تلاوته، ويتدبره حق تدبره، وجعله شفيعًا لنا يوم القيامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

القصة في كتاب الله



صاحب الجنتين

الحلقة الأولى

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه السادات الشرفاء، أما بعدُ:

فإن الله سبحانه وتعالى نوّع لنا القصص والأمثال في كتابه الكريم؛ لعل أصحاب التفريط يرعوون وإلى الله يعودون، وبالحق الذي أنزله الله يتمسكون.

وفي سورة الكهف على وجه الخصوص نوّع القصص ما بين فتية آمنوا بربهم فزادهم هدًى، وبين ملك مكّنه الله من كل شيء في الأرض فأصلح، وبين رجل مكّنه الله على جزء في الأرض فأصلح، وبين رجل مكّنه الله من جزء في الأرض فأفسد، وبين من لم يمكنه الله من شيء فصبر، وهكذا نوّع الله الأمثال للناس رحمة وهداية، ومن هذا القبيل قصة صاحب الجنتين؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى: «وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ» [الكهف: ٣٢] إلى قوله: «وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا» [الكهف:٤٣].

وسنتناول هذه القصة بعون الله وحوله وطوله ومدده من ثلاثة محاور:

الأول: علاقتها بالسورة، الثاني: ملخص القصة والحوار الذي دار بين الرجلين، الثالث: تعقيبات القرآن على القصة والدروس المستفادة.

ومع المحور الأول: علاقة القصة بالسورة.

المتأمل في سورة الكهف يجدها تدور حول أمور ثلاثة:

١- تصحيح العقيدة في الله واليوم الآخر وفي القضاء والقدر.

٢- تصويب منهج التلقي والنظر والتفكر والتصور الذي يقوم على البرهان والدليل الصحيح.

٣- تصويب النظرة إلى القيم وعلاقة الإنسان بها في ضمن العقيدة الصحيحة (قيمة المال، والجاه والملك، والعلم). وقصتنا تدور حول قيمة المال، وكيف يتصرف فيه المؤمن؛ هل سيشكر ربه فيعترف له بالنعمة، ثم يصرفها في طاعة الله، أم سيكفر بنعمة ربه ومولاه، وينسى أنه الذي منّ عليه وأفاء عليه بنعمة المال، وينسى أنه إلى

Upload by: altawhedmag.com

الله سيعود، وأنه سائله عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

وفي مقابل ذلك العبد الذي ضيق الله عليه رزقه هل سيصبر على ذلك أم يكفر؟ فالله سبحانه يبتلي عباده بالعطاء والمنع، وبالصحة والمرض؛ لينظر ماذا يفعلون.

وقد جاء في مطلع السورة بيان هذه القضية بوضوح فقال تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا» [الكهف:٧-٨]، هذه الحقيقة التي غابت عن كثير من الناس، فلم يعرفوا حقيقة هذه الحياة، واغتروا بها واطمأنوا بها وغفلوا عن آيات الله، قال الله عنهم في سورة يونس الآية: «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ» [يونس: ٧].

وهذا الصنف من الناس حذر الله نبيه من مجالسته، وصرف الوقت معه، والإصغاء إليه، فقال تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» [الكهف: ٢٨].

في هذا الجو الذي يدعو الله فيه إلى مجالسة الصالحين المتقين، والبعد عن مجالسة الغافلين المعرضين عن ذكر الله وعن منهجه، نعم هذه سمات أهل الدنيا، غفلوا عن آيات الله، نظر إليهم وهم يطالبون الرسول النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بقرآن غير الذي جاء به، نعم هكذا حكى الله عنهم قال تعالى: «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» [يونس: ١٥، ١٦].

فالذين لا يرجون لقاء الله هم الذين اطمأنوا بالحياة الدنيا، وغفلوا عن آيات ربهم، ولم يعقلوا أن الرسول متبعٌ وليس بمبتدع، وأن هذا القرآن ليس من عنده هو وإنما هو من عند رب العالمين الذي أرسله وأرسل جميع الرسل من قبله، وأنزل جميع الكتب، وأن هذا القرآن هو كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين جبريل على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسانٍ عربي مبين، في هذه الأجواء التي يُرغب القرآن فيها في مجالسة الصالحين الأتقياء، ويحذر من مجالسة الضالين الأغبياء ساق لنا الذكر الحكيم هذه القصة التي تعطينا نموذجين: الطالح الغني، والفقير الذكي.

ثانيا: عرض للحوار:

فهيا نرى ماذا حدث في المحاورة التي وقعت ودارت بينهما: قال تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا» [الكهف: ٣٢-٣٣].

الله سبحانه وتعالى يوجه خطابه للنبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: واضرب أي اجعل واذكر لهم هذا المثل لرجلين أحدهما أنعمت عليه جنتين أي (حديقتين عظيمتين ؛ المحصول الرئيس فيها العنب، وقد زُرِع بين العنب محاصيل أخرى من الخضر والفاكهة وخلافه، والمزرعتان باستمرار يجري فيهما الماء بغير انقطاع، والجنتان مثمرتان يأتي ثمرهما كل حين بإذن ربه دون آفات أو تلفيات، في روعة وجمال!!!

ولكن نظر صاحب الجنتين فيما حوله فوجد الأمور تتدفق عليه من كل مكان، والثمار بين يديه، فلعب الشيطان برأسه، وأصابه الغرور بلوثة، فانظر ماذا قال لصاحبه: وقبل أن نستعرض الحوار نذكر أن القرآن لم يُشر إلى اسم الرجلين ولا مكانهما

Upload by: altawhedmag.com

وزمانهما، ولم يأت في السنة الصحيحة ما يُعتمد عليه في ذلك، وينبغي التوقف عند ما وقف عنده القرآن في وصف الرجلين، فالهدف من القصة العظة والعبرة.

ولنشرع في المقصود بعون الله، قال الله تعالى: «وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا» [الكهف: ٣٤]، هذا الرجل الذي اغتر بما عنده من ثمار وبساتين قال لصاحبه الفقير: أنا أكثر منك مالاً وعندي كذلك أبناء كثر وعمال وخدم... وهلم جرا، يقول ذلك من باب المفاخرة والكبر، وليس من باب التحدث بنعمة الله، والدليل ما سيأتي: «وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا» [الكهف: ٣٥ – ٣٦]. هكذا كلام يدل على غرور صاحبه بما في يديه وعدم يقينه بالبعث والجزاء على فرض وجود البعث، فسيكون له هناك ما هو خير له من جنتيه هاتين.

ومن هنا جاء الجواب المناسب من صاحبه الفقير: «قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا» [الكهف:٣٧– ٣٨]. قال الرجل الصالح لصاحبه محذرًا ومذكرًا له: هل كفرت بالله؟ وهذا استفهام فيه استنكار لمسلك الرجل من إنكار البعث، وبيان بأنه كفر، ثم استدل على إمكانية البعث والإعادة بقدرة الله على النشأة الأولى تذكرةً بأصل جميع البشر، وهو آدم عليه السلام الذي خلقه الله من تراب، ثم بأصل نشأة جميع ذرية آدم، ألا وهي النطفة المتنقلة في الأصلاب، ثم في الأرحام ثم التسوية وتمام الخلق «ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا» [الكهف: ٣٧].

والرجل الصالح ذكّر صاحبه بأصل نشأته حتى يدفع عنه الغرور الذي أصابه، فكأنه يقول له: أنت تساويت مع كل الناس في أصل النشأة، وهو التراب، ثم تساويت معهم في الإتيان من نطفة، ونزوله من مجرى البول مرتين؛ مرَّة من أبيه، وأخرى من أمه، ثم هو في حياته يحمل في بطنه العذرة، وبعد مماته يصير جيفة قذرة.

فلماذا التكبر إذن؟ ثم أليس الذي سوّاه هذه التسوية من هذا الأصل الضعيف قادرًا على إعادته مرة أخرى ومساءلته يوم القيامة، فإنكاره للساعة والبعث هو عين الكفر بالله الخالق سبحانه.

ثم أردف العبد الصالح القول معلمًا ومرشدًا: «وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا» [الكهف: ٣٩]، كان الأولى بك حين ترى نعمة الله عليك أن تردها إلى صاحبها الذي أنعم بها عليك وتقول: «مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ» [الكهف: ٣٩]، فهذا الاعتراف بالنعمة وردها إلى المنعم سبحانه من عوامل حفظها وصيانتها، لكنك أيها المغرور لم تعترف بذلك، وكان هدفك ازدرائي والتقليل من شأني، بسبب قلة مالي وعشيرتي، وغاليت في المقارنة بيني وبينك والتفاخر عليّ بمالك وعشيرتك.

دوام الحال من المحال

واستمر العبد الصالح في تحذيره لصاحبه من الغرور والبطر وذكّره بتقلبات الدهر، وأن الأمور كلها بيد الله سبحانه؛ يعطي هذا، ويمنع هذا؛ لحكمة يعلمها فهو سبحانه العليم، «فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا» [الكهف: ٤٠– ٤١].

فالله الذي منحك هذه الجنة قادر على سلبها منك، وهو سبحانه قادر على أن يعطيني خيرًا من جنتك في الدنيا أو الآخرة أو فيهما معًا، فربي لطيف لما يشاء وهو على كل شيء قدير.

وللحديث بقية إن شاء الله إن كان في العمر بقية.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

من أخبار الجماعة

دعوة لفروع أنصار السنة المحمدية

يتشرف مجلس إدارة المركز العام بالقاهرة بدعوة الإخوة رؤساء الفروع لحضور اجتماع الفروع مع مجلس الإدارة لمناقشة الأمور الدعوية، وذلك يوم الأحد ٢٠١٢/٩/٣٠م الموافق ١٤ من ذي القعدة ١٤٣٣هـ عقب صلاة الظهر بالمركز العام ٨ ش قولة عابدين - القاهرة.

علمًا بأنه سيتم على هامش هذا الاجتماع عقد مؤتمر علمي عن الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله وجهوده في نشر عقيدة السلف الصالح.

تهنئة واجبة

تتقدم جماعة أنصار السنة المحمدية وأسرة مجلة التوحيد بأرق التهاني القلبية لفضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب عضو مجلس شورى العلماء بمناسبة زواج ابنه أنس، فنبارك للشيخ الكريم، وندعو الله تبارك وتعالى أن يبارك للعروسين ويجمع بينهما في خير وأن يرزقهما الذرية الصالحة.

تهنئة

حصل الأستاذ محمد عبد المقصود صالح عبد المقصود الباحث بكلية الدعوة الإسلامية بقسم الأديان والمذاهب بجامعة الأزهر على درجة الماجيستير عن رسالته المقدمة بعنوان (موقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من الفرق الإسلامية)، وقد أشرف على الرسالة كل من: الأستاذ الدكتور محمد أبوالفتوح السيد والدكتور حمدي خلف محمد الصغير.

وبهذه المناسبة يتقدم رئيس التحرير بأرق التهاني للباحث ويتمنى له مزيدًا من التوفيق والرقي.

عزاء واجب

فقدت جماعة أنصار السنة المحمدية ابنا من أبنائها الفضلاء وهو الشيخ عبد الفتاح الحسيني الدمياطي الذي لقي ربه بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أداء مناسك العمرة في يوم ١٤ رمضان الماضي.

كما فقدت الجماعة أيضاً واحداً من دعاتها الكرام وهو الشيخ عبد الرحمن محمود الداعية بأنصار السنة بالمنصورة وأسرة تحرير مجلة التوحيد تدعو الله تعالى لهما بالمغفرة والرحمة.

Upload by: altawhedmag.com

اشترك الآن بمجلة البيان بالقاهرة مجاناً

البيان

إسلامية
شهرية
عالمية

12 ش رفاعة روكسي
24549557 ـ 24557677

01001537299

ثلاث خطوات ويفعل اشتراكك

1 ادفع حوالة بريدية باقرب مكتب بريد (البوستة) فقط 100 ج
علي رقم 0103112000180818

2 اتصل بالارقام المبينة واخبره برقم العملية و بيانات المرسل اليه

3 سترسل لك الهدايا الفورية على نفس العنوان ، وتابع التواصل

هدايا المشتركين أكثر من 200 جنيهاً

- 35 ج ◄ تفسير السعدي بيروت
- 50 ج ◄ موسوعة البيان العملاقة
- 25 ج ◄ كارت الخصم 20%
- 35 ج ◄ ثلاث كتب مع الاعداد
- 95 ج ◄ 12 عدد مجلة بالبريد



01019121925 sms